جامعة قطر

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المنهج القرآني في علاج أخطاء الجماعة المؤمنة
دراسة في سورة آل عمران

أعدّت بواسطة

سامية بجاش محمد الحمادي

قدّمت هذه الرسالة كأحد متطلّبات

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في

التفسير وعلوم القرآن

يناير ٢٠١٧م / ١٤٣٨هـ

©.2017م سامية بجاش محمد الحمادي. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالب/ة سامية بجاش محمد الحمادي بتاريخ ٢٠١٦/١٢/١٢م، وَوُفِقَ عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه .وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزء من امتحان الطالب.

_____

أ .د محمد عبد اللطيف عبد العاطي
المشرف على الرسالة

_____

أ.د أحمد حسن فرحات

مناقش

_____

أ.د محمد مصطفى آيدين
مناقش

تمّت الموافقة:

_____

الدكتور يوسف الصديقي، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

سامية بجاش محمد الحمادي، ماجستير في التفسير وعلوم القرآن :
يناير ٢٠١٧م.
العنوان: المنهج القرآني في علاج أخطاء الجماعة المؤمنة _دراسة في سورة آل عمران_.
المشرف على الرسالة: أ.د محمد عبد اللطيف عبد العاطي

هذا البحث يتحدث عن منهج القرآن الكريم في علاج أخطاء الجماعة المؤمنة في ضوء سورة آل عمران؛ من خلال الإجابة عن عدة أسئلة أهمها: ما أخطاء الجماعة المؤمنة التي وردت في السورة، وما منهج السورة في علاجها، وكيف نوظّف هذا المنهج في علاج أخطاء الواقع المعاصر؟، ويهدف هذا البحث إلى تقديم رؤية تلبي حاجة الدعاة والمربين إلى معرفة المنهج القرآني في توجيه المجتمع لتصحيح أخطائه في ضوء منهج القرآن الكريم.

وقد وقفت في هذه الدراسة على أخطاء الجماعة المؤمنة التي ذُكرت في سورة آل عمران، وهي: الاختلاف والتنازع، ومخالفة أمر الرسول ﷺ، والاعتداد بالرأي، وإرادة الدنيا، والتعلق بشخص الرسول ﷺ، والفرار من المعركة، ثم بيّنت منهج القرآن في تصحيح هذه الأخطاء والذي يتمثل في: توضيح الخطأ، وتصحيح التصورات، وضرب المثل، والترغيب والترهيب، والعتاب، ورفع الروح المعنوية بعد الهزيمة، والعفو والصفح، واستيعاب المخطئ في المجتمع الإسلامي، ومعاقبة المخطئ إذا استلزم الأمر.

وحاولت توظيف هذه المنهجية في علاج الأخطاء في الواقع المعاصر؛ حتى أُسهِم في تقديم الصورة الواقعية التي يجب أن تُحتذى في تصويب بعض أخطاء المجتمع المسلم، ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات.

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فإني أشكر الله تعالى الذي وفقني لإنجاز هذا العمل بفضله، فله الحمد أولًا وآخرًا، وإني بعد حمد الله وشكره أشكر والدَيّ الكريمين أمدّ الله في عمرهما، ثم أتقدم بالشكر والتقدير لعميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: الأستاذ الدكتور/ يوسف الصديقي، والعميد المساعد لشؤون البحث والدراسات العليا بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية: الدكتور/ نايف نهار الشمري، كما أتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان لأستاذي المشرف على الرسالة فضيلة الأستاذ الدكتور/ مُحَمَّد عبد اللطيف، فقد بذل جهده ووقته في متابعة هذا البحث، فله مني كل تقدير وعرفان ودعاء خالص، جزاه الله عني خير الجزاء.

والشكر موصول لعضوي لجنة المناقشة: الأساذ الدكتور أحمد فرحات، والأستاذ الدكتور مُحَمَّد آيدين، على تكرمهما وقبولهما لمناقشة رسالتي، وإبداء توجيهاتهما وملاحظاتهما العلمية التي تثري هذه الرسالة.

وإلى أساتذتي الكرام ذوي الفضل أعضاء هيئة التدريس بكلية الشريعة على ما منحوني إياه من كريم شمائلهم، وحسن تعليمهم وأخلاقهم، وأخص منهم المربي الفاضل الأستاذ الدكتور عدنان زرزور الذي أشرف على هذه الرسالة كاملة، فلهم مني جزيل الشكر والدعاء بأن يوفقهم الله لخيري الدنيا والآخرة.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى زوجي الكريم الذي لم يألُ جهدًا في الإعانة على إتمام هذا البحث، وإلى أمي الثانية الشيخة حصة بنت عبدالله آل ثاني التي شجعتني وأعانتني طوال فترة كتابة هذا البحث، جزاها الله عني خيرًا.

والله أسأل أن يجزل الثواب لكل من أسدى إلي نصحًا أو قدم لي عونًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جدول المحتويات

شكر وتقدير ..... د
المقدمة ١
مدخل: التعريف بسورة آل عمران ١١
أولاً: فضل سورة آل عمران: ١١
ثانياً: سبب نزولها ١٣
ثالثًا: علاقة السورة بما قبلها وما بعدها ١٥
رابعًا: عمود السورة وموضوعاتها ١٧
الفصل الأول: أخطاء الجماعة المؤمنة في سورة آل عمران ١٩
التمهيد حول مصطلحات العنوان ٢٠
أولاً: مدلول الخطأ ٢٠
ثانياً: مدلول الجماعة المؤمنة ٢١
المبحث الأول: الحكمة من وقوع أخطاء الجماعة المؤمنة ٢٣
المطلب الأول: الخطأ طبيعة بشريّة ٢٣
المطلب الثاني: الابتلاء والتمحيص ٢٥
المطلب الثالث: تحقيق الوظيفة النبوية في الإصلاح والتزكية ٢٧
المطلب الرابع: توفير رصيد الخبرة للقرون اللاحقة ٢٨
المبحث الثاني: أخطاء الجماعة المؤمنة التي ذكرتها سورة آل عمران ٣٠
المطلب الأول: الاختلاف والتنازع ٣٢
المطلب الثاني: مخالفة أمر الرسول ﷺ ٣٥
المطلب الثالث: الاعتداد بالرأي ٣٦
المطلب الرابع: إرادة الدنيا ٣٧
المطلب الخامس: التعلق بشخص النبي صلى الله عليه وسلم ٣٩
المطلب السادس: الفرار من المعركة ٤١
الفصل الثاني: منهج سورة آل عمران في علاج أخطاء الجماعة المؤمنة ٤٦
المبحث الأول: نبذ الفرقة والتنازع بين المؤمنين ٤٧
المبحث الثاني: الحث على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والتحذير من مخالفته ٥١
المبحث الثالث: تأكيد مبدأ الشورى ٥٥

المبحث الرابع: لفت النظر إلى إرادة الآخرة دون إهدار للدنيا ٦٠
المبحث الخامس: مقاومة نزعة التعلق بالأشخاص ٦٦
المبحث السادس: الحث على الثبات عند لقاء العدو ٧١
الفصل الثالث: توظيف منهجية سورة آل عمران في علاج الأخطاء في الواقع المعاصر ٧٦
المبحث الأول: العلاج على المستوى الفكري ٨١
المطلب الأول: توضيح الخطأ ٨١
المطلب الثاني: تصحيح التصورات ٨٣
المطلب الثالث: وضوح الهدف ٨٧
المطلب الرابع: ضرب المثل ٨٨
المبحث الثاني: العلاج على المستوى النفسي والشعوري ٩١
المطلب الأول: الترغيب والترهيب ٩١
المطلب الثاني: العتاب ٩٣
المطلب الثالث: العفو والصفح ٩٥
المطلب الرابع: رفع الروح المعنوية للمسلمين بعد الهزيمة ٩٧
المطلب الخامس: الصبر على البلاء ٩٩
المطلب السادس: الدعوة إلى التوبة ١٠١
المبحث الثالث: العلاج على صعيد الأمة والمجتمع ١٠٥
المطلب الأول: استيعاب المخطئ ١٠٥
المطلب الثاني: مراعاة الموقف وأحوال بعض المخطئين ١٠٨
المطلب الثالث: تأديب المخطئ إذا استلزم ذلك ١١١
الخاتمة ١١٤
المراجع ١١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستغفره، ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن الخطأ ملازم للنفس البشرية، ومهما بلغ العبد من درجات التقوى ومقامات العبودية، فلن يسلم من الذنب أو المعصية، فقد قال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»[1].

وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم منهجًا للعباد، يحكمون به حياتهم، ويضبطون به تصرفاتهم، ويطبقونه واقعًا عمليًا في جميع شؤونهم، وضمّنه منهجًا تربويًا، واضح المعالم، يقود من اتبعه إلى سعادة الدارين.

وكان من معالم هذا المنهج التربوي معالجة الأخطاء، التي وقع فيها بعض المؤمنين في العهد النبوي، فقد نزل القرآن الكريم ليصححها، ويرسم المسار الأمثل- في الحث على الاعتراف بالخطأ والسير في سبيل تصحيحه- وهذا المنهج هو الذي يجب أن ينهجه المسلمون على مدى الأزمان، وهو منهج مستمر، ليس مؤقتًا، ولا يناسب زمانًا دون زمان، ولا مكانًا دون مكان، وإنما هو صالح للبشرية جمعاء، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، ولا غرابة في ذلك؛ فهو خاتمة المناهج الإلهية التي أوحى بها إلى الأنبياء

---

(١) أخرجه **الترمذي** في السنن، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ج٤، ص٦٥٩، رقم (٢٤٩٩)، وأخرجه **ابن ماجه** في السنن، باب ذكر التوبة، ج٢، ص١٤٢٠، رقم (٤٢٥١)، وحسنه **الألباني** في كتاب **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج٥، ص٤٩٩، رقم (٢٤٩٩).

بوصفها مناهج حياة، ولكن المنهج القرآني قام على أسُسٍ إنسانية عامة، ولم يكن خطابًا مكانيًا أو زمنيًا أو طارئًا، والله تعالى أعلم بما يُصلح أحوالهم، ويُقيم اعوجاجهم، ويُلبّي حاجاتهم.

ولقد جاء اختياري لهذا الموضوع؛ من أجل الاستفادة من منهج القرآن الكريم، في علاج أخطاء الجماعة المؤمنة، من خلال سورة آل عمران، وتوظيف ذلك في الواقع المعاصر، وذلك بهدف الإسهام في إنشاء جيل رباني، يتخلق بأخلاق القرآن، ويطبق شرعه القويم، خاصة ونحن نرى حاجة المجتمع الملحّة إلى ذلك، في ظل الواقع المعاصر الذي تكالب فيه الأعداء، فيكون هذا المنهج لبنة في بناء المنهج التربوي في القرآن، والذي نأمل أن يحل محل المناهج المأخوذة من الغرب، والتي كانت سببًا في ضياع المجتمع وضلاله، هذا من جهة، ومن جهة أخرى للتأكيد أن جيل الصحابة الذين جرت هذه المراجعة على تطبيقهم وسلوكهم كانوا خير جيل، وقد استجابوا للوحي استجابة تامة، ومن ثَمّ تقديم الصورة الواقعية التي يجب أن تُحتذى عبر هذه العصور، بعد أن قدّم جيل التنزيل الذي قام بالتطبيق، وجرت عليهم المراجعة والتصويب النموذج الأفضل، والمثال الذي يُحتذى.

إشكالية البحث:

يمكن تحديد إشكالية البحث في السؤال الرئيس التالي:

هل تضمنت سورة آل عمران منهجية متكاملة لعلاج أخطاء الجماعة المؤمنة في عصر التنزيل؟

ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

١. ما أخطاء الجماعة المؤمنة في سورة آل عمران؟
٢. ما منهج السورة في معالجة هذه الأخطاء؟
٣. كيف نوظّف هذا المنهج في علاج الأخطاء في الواقع المعاصر؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث فيما يأتي:

١. تعلّقه بأشرف الكتب وأجلّها وهو القرآن الكريم.

٢. حاجة المجتمع إلى علاج أخطائه علاجًا صحيحًا وفق الأساس الذي جاء في القرآن الكريم.

٣. إدراك المنهج القرآني في التعامل مع أخطاء البشر، فهو أحكم وأنجع، واستعماله أدعى لاستجابة الناس.

٤. إدراك أن منهج القرآن الكريم في علاجه للأخطاء، يقوم على المواجهة والمصارحة وعدم المحاباة حتى مع أشرف الأجيال.

٥. تقديم حلول تسهم في تصحيح أخطاء المجتمع وفق منهج قرآني.

أهداف البحث:

١. الكشف عن أخطاء الجماعة المؤمنة التي وردت في سورة آل عمران، حتى لا نقع فيها.

٢. بيان المنهج القرآني في علاج الأخطاء في ضوء سورة آل عمران.

٣. توجيه المجتمع إلى تطبيق المنهج القرآني في تصحيح أخطائه.

حدود البحث:

اقتصرت هذه الدراسة على أخطاء الجماعة المؤمنة من خلال سورة آل عمران فقط، ومنهج السورة في علاجها، وكيفية الاستفادة من هذا المنهج في معالجة أخطاء الواقع المعاصر.

منهج البحث:

١. المنهج الاستقرائي، حيث أستقرئ أخطاء الجماعة المؤمنة التي ذكرتها سورة آل عمران.
٢. المنهج الاستنباطي في بيان منهج سورة آل عمران في علاج أخطاء الجماعة المؤمنة.

أسباب اختيار الموضوع:

١. خدمة لكتاب الله عز وجل وابتغاء مرضاته.
٢. الإسهام في علاج أخطاء المجتمع في ضوء منهج القرآن الكريم.
٣. حاجة المجتمع الماسة لمثل هذا الموضوع في ظل واقعنا المعاصر.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع على ما كُتب حول الموضوع؛ وجدت الباحثة مجموعة من الدراسات، أقربها لدراستها الدراسات الآتية:

- **الدراسة الأولى:** دراسة الباحثة هيام عبدالقادر جبر فرحات، بعنوان: **(المنهج القرآني في علاج أخطاء المؤمنين في العهد النبوي)**، وهي رسالة مقدّمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، في الجامعة الإسلامية بغزة، عام ٢٠١١م، تناولت فيها الباحثة أنواع الأخطاء التي ورد ذكرها في القرآن الكريم بشكل عام، ثم ذكرت نماذج لأخطاء المؤمنين وقعت في العهد النبوي، والآثار المترتبة عليها، وذكرت أسباب وقوع الإنسان في الخطأ، ثم أوردت الوسائل القرآنية الوقائية من الوقوع في الخطأ، وأخيرًا بيّنت الخطوات المنهجية التي استخدمها القرآن الكريم في علاج الأخطاء.

ودراسة فرحات تتوافق من حيث الموضوع مع دراستي، إلا أن دراستها شملت الأخطاء المذكورة في القرآن كاملًا، وإن كانت لم تستغرق كل الأخطاء، واكتفت بإشارات عن بعض أخطاء المجتمع المدني، ولم تربطها بالواقع المعاصر، في حين أن دراستي تتعلق بمنهج القرآن الكريم في علاج أخطاء الجماعة المؤمنة، في ضوء سورة آل عمران فقط، تناولتُ فيها الأخطاء بشيء من التعمق والتفصيل، ثم ذكرتُ منهج القرآن في علاجها،

وكيفيّة توظيف هذا المنهج القرآني في علاج أخطاء المجتمع في الواقع المعاصر، ودراستها لم تتناول هذا الجانب.

- **الدراسة الثانية:** دراسة الباحث يحي بن علي الزهراني، بعنوان: **(الأساليب القرآنية في معالجة الأخطاء الأخلاقية وتطبيقاتها في الواقع التربوي المعاصر)** وهو بحث مكمل لنيل الماجستير في قسم التربية الإسلامية، بجامعة أم القرى، ذكر فيها الباحث الأخطاء الأخلاقية الواردة في سورة البقرة، والأساليب القرآنية في معالجتها وتطبيقاتها في الواقع التربوي المعاصر، وهذه الدراسة توافق دراستي في ذكر أساليب القرآن في معالجة الأخطاء، والاستفادة منها في الواقع المعاصر، إلا أنها تفارقها في أنها اقتصرت على الأخطاء الأخلاقية، المذكورة في سورة البقرة فقط، في حين تحدثتُ في دراستي عن جميع أخطاء الجماعة المؤمنة الواردة في سورة آل عمران.

- **الدراسة الثالثة:** دراسة الباحث: عبد العزيز علي حاج، بعنوان: **(منهج القرآن الكريم في إقالة العثرات وتصحيح الأخطاء)** وهو بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية في السودان، وهذا البحث يتضمن بيانًا لمنهج وأسلوب القرآن الكريم في إقالة العثرات وكيف تمت معالجتها، ودراسته تتوافق من حيث الموضوع مع دراستي، إلا أن دراسته شملت عثرات الأنبياء والصحابة في القرآن كاملًا، في حين أن دراستي تتعلق بمنهج القرآن الكريم في علاج أخطاء الجماعة المؤمنة، في ضوء سورة آل عمران فقط.

- **الدراسة الرابعة:** دراسة الباحث: أمجد مُحَمَّد يوسف إبراهيم، بعنوان: **(منهج القرآن في التعامل مع أخطاء المجتمع الإسلامي في عهد النبوة)** وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين بجامعة النجاح الوطنية في نابلس فلسطين، وقد تناولت هذه الدراسة أسباب وجود المظاهر السلبية في المجتمع الإسلامي ومنهج القرآن في معالجة هذه المظاهر، وهذه الدراسة تتوافق مع دراستي من حيث الموضوع، إلا أنها شملت

القرآن كاملًا، ولم يتحدث الباحث عن أخطاء الصحابة في غزوة أحد إلا بصفة عامة لم تتجاوز أربع صفحات، في حين أن دراستي تتعلق بمنهج القرآن الكريم في علاج أخطاء الجماعة المؤمنة، في ضوء سورة آل عمران فقط.

وهناك من تناول دراسة المنهج النبوي في علاج الأخطاء، وجميع هذه الدراسات تتفق مع دراساتي في أنها تعالج الأخطاء، وتفارقها في أنها تتحدث عن المنهج النبوي في علاج الأخطاء، ودراستي عن القرآن الكريم ومنهجه في علاج الأخطاء، ومن هذه الدراسات:

- **المنهاج النبوي في تصحيح أخطاء الفرد والجماعة**، رسالة ماجستير للباحث: مُحَمَّد علي الأخرش.
- **الأساليب النبوية في معالجة الأخطاء**، رسالة دكتوراه للباحث: وليد أحمد عويضة.
- **أساليب النبي ﷺ في تصحيح الأخطاء عند الصحابة**، للباحث: سالم أحمد سلامة.

وهناك من تناول سورة آل عمران من جهات أخرى خارجة عن الموضوع الذي اخترته، سواء كانت من جهة بلاغية، أو من جهة التحقيق لبعض كتب التفسير، فقد كتب الباحث أحمد عايش حبيب في الجامعة الإسلامية رسالة بعنوان (**معالم الجماعة المسلمة في سورة آل عمران**) وهي رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، بإشراف الدكتور وليد مُحَمَّد العامودي، تحدّث فيها الباحث عن ضرورة العمل الجماعي، وتحريم مفارقة الجماعة، ثم ذكر أن هناك أخطاء فردية، وأخطاء جماعية تُضعف الجماعة، وهي من المنكر الذي ينبغي التحذير منه قبل وقوعه، ومعالجته إذا وقع، وهذه الدراسة تختلف عن دراستي من حيث الغرض، حيث تتعلق دراستي بأخطاء الجماعة المؤمنة في عهد النبي ﷺ ومنهج القرآن في علاجها، وتطبيق ذلك على واقعنا المعاصر.

خطة البحث:

يشتمل البحث على: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

مقدمة وتشتمل على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وأسئلته، والمنهج العلمي في البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

مدخل: التعريف بسورة آل عمران:

- فضل سورة آل عمران
- سبب نزول السورة
- علاقة السورة بما قبلها وما بعدها
- عمود السورة وموضوعاتها

الفصل الأول: أخطاء الجماعة المؤمنة في سورة آل عمران

ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

- التمهيد: حول مصطلحات العنوان
- مدلول الخطأ
- مدلول الجماعة المؤمنة

المبحث الأول: الحكمة من وقوع أخطاء الجماعة المؤمنة

- المطلب الأول: الخطأ طبيعة بشريّة
- المطلب الثاني: الابتلاء والتمحيص
- المطلب الثالث: تحقيق الوظيفة النبوية في الإصلاح والتزكية
- المطلب الرابع: توفير رصيد الخبرة للقرون اللاحقة

المبحث الثاني: أخطاء الجماعة المؤمنة التي ذكرتها سورة آل عمران

- المطلب الأول: الاختلاف والتنازع

- المطلب الثاني: مخالفة أمر الرسول ﷺ
- المطلب الثالث: الاعتداد بالرأي
- المطلب الرابع: إرادة الدنيا
- المطلب الخامس: ربط مصير الدعوة بمصير الداعية
- المطلب السادس: الفرار من المعركة

الفصل الثاني: منهج سورة آل عمران في علاج أخطاء الجماعة المؤمنة

المبحث الأول: نبذ الفرقة والتنازع بين المؤمنين

المبحث الثاني: الحث على طاعة الرسول ﷺ والتحذير من مخالفته

المبحث الثالث: تأكيد مبدأ الشورى

المبحث الرابع: لفت النظر إلى إرادة الآخرة دون إهدار للدنيا

المبحث الخامس: مقاومة نزعة التعلق بالأشخاص

المبحث السادس: الحث على الثبات عند لقاء العدو

الفصل الثالث: توظيف منهجية سورة آل عمران في علاج الأخطاء في الواقع المعاصر

المبحث الأول: العلاج على المستوى الفكري

- المطلب الأول: توضيح الخطأ

- المطلب الثاني: تصحيح التصورات
- المطلب الثالث: وضوح الهدف
- المطلب الرابع: ضرب المثل

المبحث الثاني: العلاج على المستوى النفسي والشعوري

- المطلب الأول: الترغيب والترهيب
- المطلب الثاني: العتاب
- المطلب الثالث: العفو والصفح
- المطلب الرابع: رفع الروح المعنوية بعد الهزيمة
- المطلب الخامس: الصبر على البلاء
- المطلب السادس: الدعوة إلى التوبة

المبحث الثالث: العلاج على صعيد الأمة والمجتمع

- المطلب الأول: استيعاب المخطئ
- المطلب الثاني: مراعاة الموقف وأحوال بعض المخطئين
- المطلب الثالث: تأديب المخطئ إذا استلزم ذلك

وأخيراً الخاتمة وتشتمل:

- النتائج
- التوصيات
- قائمة المصادر والمراجع

مدخل: التعريف بسورة آل عمران

ويشتمل على ما يأتي:

أولًا: فضل سورة آل عمران

ثانيًا: سبب نزولها

ثالثًا: علاقة السورة بما قبلها وما بعدها

رابعًا: عمود السورة وموضوعاتها

مدخل: التعريف بسورة آل عمران

سورة آل عمران مدنية، نزلت بعد سورة الأنفال، وهي السورة الثالثة من حيث الترتيب في المصحف، عدد آياتها مائتا آية عند الجمهور، وعددها عند أهل الشام مائة وتسع وتسعون[١]. ووجه تسميتها بآل عمران: أنها ذُكرت فيها فضائل آل عمران، وهو عمران بن ماتان أبو مريم، وآله هم زوجه حنة، وأختها زوجة زكريا النبي، وزكريا كافل مريم، إذ كان أبوها عمران توفي وتركها حاملًا، فكفلها زوج خالتها[٢].

أولاً: فضل سورة آل عمران:

وردت أحاديث كثيرة في فضل سورة آل عمران، بعضها صحيح وبعضها ضعيف، وسأكتفي هنا بذكر حديثين صحيحين في فضلها:

الحديث الأول: عن زيد أنه سمِع أبا سلام[٣]يقول: حدثنى أبو أمامة الباهلي قال: سمعت رسول اللَّهِ ﷺ يقول: «اقرءوا الْقرآنَ فإنّه يأتِى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرءُوا الزهراوينِ البقرة وسورة آل عمرانَ، فإنهما تأتيانِ يوم القيامةِ كأنهما غمامتان، أو كأنهما

---

(١) ينظر: ابن جزي، أبو القاسم، مُحَمَّد بن أحمد الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ت: الدكتور عبد الله الخالدي (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤١٦هـ) ج١، ص١٤٤/ ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن عاشور التونسي، **التحرير والتنوير** (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤هـ) ج٣، ص١٤٤.

(٢) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣، ص١٤٣/ القاسمي، مُحَمَّد جمال الدين بن مُحَمَّد سعيد، **محاسن التأويل**، ت: مُحَمَّد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ) ج٢، ص٢٥٣.

(٣) **مَمْطُور** الْبَاهِلِيّ أَبُو سَلام الحبشي الْأَعْرَج الْأسود الدِّمَشْقِي، روى عنه زيد بن سلام. ابن منجويه، **رجال صحيح مسلم**، ج٢، ص٢٧٥، بتصرف يسير.

غيايتان[١]أو كأنهما فرقانِ[٢]من طيرٍ صوافَّ[٣]تُحاجانِ عن أصحابهما، اقرءوا سورةَ البقرةِ فإنَّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة». قال معاوية:[٤]بلغنى أنَّ البطلةَ السحرة[٥].

الحديث الثاني: عن جبير بن نفير[٦]قال: سمعتُ النَّوَّاس بن سمعان الكِلابِيّ[٧]يقول: سمعت النبِي ﷺ يقول: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) الغيايتان: مثنّى غياية، كل شيء أظَلَّ الإنسانَ فَوْق رأسه كالسَّحابة وغَيْرها، ينظر: الجزري، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ت: طاهر أحمد الزاوى – محمود مُحَمَّد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، د.ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) مادة: غيا.

(٢) فِرقان: أي طائفتان. ابن الجوزي، **غريب الحديث والأثر**، باب الفاء مع الراء.

(٣) صَوافّ: باسِطاتٍ أَجْنِحَتَها في الطيران، والصوافُّ جمع صافّةٍ. ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم بن على، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ) باب الفاء، فصل الصاد المهملة.

(٤) هو معاوية بن سلام بن أبي سلام الحبشي الدمشقي الشامي، ابن منجويه، **رجال صحيح مسلم**، ج١، ص٣٢٠.

(٥) أخرجه **مسلم** في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ج١، ص٥٥٣، رقم (٨٠٤).

(٦) جبير بْن نفير: أَبُو عبد الرحمن الحضرمي، أسلم في حياة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو باليمن، ولم يره، وقدم بالمدينة، فأدرك أبا بكر، ثم انتقل إِلَى الشام فسكن حمص. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد الجزري، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ت: علي مُحَمَّد معوض– عادل أحمد عبد الموجود (دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ج١، ص٥١٧. بتصرف يسير.

(٧) هو نواس بن سمعان بن خالد بن عَمْرو بن قرط الكلابي، معدود فِي الشاميين، ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٥، ص٣٤٥.

ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْق[1]، أو كأنهما حِزْقَانِ[2]من طَيرٍ صَوافَّ، تُحَاجَّانِ عَن صَاحِبِهِمَا»[3].

ثانياً: سبب نزولها

لم يذكر المفسرون سببًا لنزول السورة كلها، ولكن ذكر كثير من المفسرين منهم الطبري وابن كثير والبغوي والخازن سبب نزول القدر الأكبر من سورة آل عمران، أن طائفة من النصارى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نَجْرَان فحاجُّوه في عيسى صلوات الله عليه، وألحدوا في الله، فأنزل الله عز وجل في أمرهم وأمر عيسى من هذه السورة نيفًا وثمانين آية من أولها، احتجاجًا عليهم وعلى من كان على مثل مقالتهم، لنبيّه مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، فأبوا إلا المقام على ضلالتهم وكفرهم، فدعاهم إلى المباهلة[4]، فأبوا ذلك، وسألوا قَبول الجزية منهم، فقبلها صلى الله عليه وسلم منهم، وانصرفوا إلى بلادهم[5].

---

(١) الشَرق: الضوء، ابن منظور، **لسان العرب**، باب القاف، فصل الشين المعجمة.

(٢) الحزقان: الحِزْق والحَزِيقَة: الجماعة من كل شيء.الجزري، **النهاية في غريب الأثر**، باب الحاء مع الزاي، مادة: ح ز ق.

(٣) أخرجه **مسلم** في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ج١، ص٥٥٤، رقم (٨٠٥).

(٤) المباهلة: الملاعنة، وهو أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا لعنة الله على الظالم منا. ينظر: الجزري، **النهاية في غريب الأثر**، ج١، ص١٦٧/ الرازي، مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، ت: يوسف الشيخ مُحَمَّد (بيروت: المكتبة العصرية، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ص٤١، مادة ب هـ ل.

(٥) ينظر: الطبري، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد أبو جعفر، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ت: أحمد مُحَمَّد شاكر (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ج٦، ص١٥١/ ابن جزي، **التسهيل في علوم التنزيل**، ج١، ص١٤٤/ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، ت: سامي بن مُحَمَّد سلامة (السعودية، دار طيبة

وقد أورد ابن إسحاق في سيرته قصة قدومهم على رسول الله ﷺ بشئ من التفصيل ثم قال: "فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم، واختلاف أمرهم كله، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها"[١].

وقد أورد الحاكم في المستدرك حديث وفد نصارى نجران[٢]لكنه لم يذكر أنه جاء سببًا لنزول السورة.

والذي أراه أنه لا مانع أن يكون حديث قدوم وفد نصارى نجران سببًا في نزول القدر الأكبر من سورة آل عمران لما يأتي:

١. أن كثيرا من المفسرين ذكر ذلك في سبب نزول صدر السورة إلى ثمانين آية منها.

٢. أن المقطع المذكور نزوله في كتب التفسير، وفي رواية ابن إسحاق يتضمن حديثًا صريحًا عن هذه الحادثة.

للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ج٢، ص٤٩_٥٠/ الخازن، علاء الدين علي بن مُحَمَّد بن إبراهيم، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ) ج١، ص٢٢٣.

(١) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، **السيرة النبوية**، ت: مصطفى السقا (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط٢، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م) ج١، ص٥٧٦.

(٢) عن جابر أن وفد نجران أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ما تقول في عيسى ابن مريم؟ فقال: «هو روح الله وكلمته وعبد الله ورسوله» قالوا له: هل لك أن نلاعنك أنه ليس كذلك؟ قال: «وذاك أحب إليكم؟» قالوا: نعم. قال: «فإذا شئتم» فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وجمع ولده والحسن والحسين فقال رئيسهم: لا تلاعنوا هذا الرجل فوالله لئن لاعنتموه ليخسفن أحد الفريقين. فجاءوا فقالوا: يا أبا القاسم إنما أراد أن يلاعنك سفهاؤنا وإنا نحب أن تعفينا قال: «قد أعفيتكم» ثم قال: «إن العذاب قد أظل نجران» وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. الحاكم، مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه، **المستدرك على الصحيحين**، ت: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م) ج٢، ص٦٤٩، رقم (٤١٥٧).

واستمرّ نزول السورة، وكانت هناك أسبابٌ أُخَر في سبب نزول بعض آياتها، ورد بعضها بروايات صحيحة، والبعض الآخر بروايات ضعيفة، وقد جُمعت في كتاب واحد، لمن أراد الاستفادة منها[١].

ثالثًا: علاقة السورة بما قبلها وما بعدها

أ- مناسبة السورة لما قبلها (البقرة):

عند التأمل في سورتي البقرة وآل عمران نجد أن بينهما تكاملًا، نشير إلى بعض أوجهه فيما يأتي:

١. لما ثبت بالبقرة أمر الكتاب في أنه هدى، وقامت به دعائم الإسلام الخمس، جاءت هذه لإثبات الدعوة الجامعة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ (سورة البقرة: ٢١) فأثبت الوحدانيه له بإبطال إلهية غيره[٢].

٢. لما كان مفتتح آية آخر سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ (سورة البقرة: ٢٨٥) الإيمان بالله وبالكتب، ناسب ذكر أوصاف الله تعالى، وذكر ما أنزل على رسوله، وذكر المنزل على غيره صلى الله عليهم[٣].

وأضاف الآلوسي في مناسبة سورة آل عمران لسورة البقرة:

---

(١) ينظر: المزيني، خالد بن سليمان، **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية** (الدمام: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦م) ج١، ص٣٠٣- ٣٥٨.

(٢) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت) ج٤، ص١٩٧.

(٣) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٣، ص٩.

١. أنه ذكر هناك خلق الناس، وذكر هنا تصويرهم فى الأرحام، وذكر هناك مبدأ خلق آدم، وذكر هنا مبدأ أولاده.

٢. أنه افتتح البقرة بقصة آدم، وخلقه من تراب بلا أب ولا أم، وذكر فى هذه نظيره فى الخلق من غير أب وهو عيسى، ولذلك ضرب له المثل بآدم عليه السلام[١].

والملاحظ أن الآلوسي رحمه الله اهتم بقضية الخلق في السورتين، كما أورد بعضًا من أوجه المناسبات غير ما ذُكر.

وأورد الأستاذ مُحَمَّد رشيد رضا إضافة إلى ماسبق، ثلاثة أوجه للتناسب بين السورتين، وهي على النحو الآتي:

١. أن في كل منهما أحكامًا مشتركة كأحكام القتال، ومَن قابل بين هذه الأحكام رأى أن ما في الأُولى أحق بالتقديم، وما في الثانية أجدر بالتأخير.

٢. الدعاء في آخر كل منهما، فالدعاء في الأُولى يناسب بدء الدين؛ لأن معظمه فيما يتعلق بالتكليف، وطلب النصر على جاحدي الدعوة، وفي الثانية يناسب ما بعد ذلك؛ لأنه يتضمن الكلام في قبول الدعوة، وطلب الجزاء عليه في الآخرة.

٣. أنه ختم الثانية بما يناسب بدء الأولى كأنها متممة لها؛ ذلك أنه بدأ الأولى بإثبات الفلاح للمتقين، وختم الثانية بقوله: واتقوا الله لعلكم تفلحون[٢].

ورأيي أن كل وجوه المناسبات التي ذكرها هؤلاء الأئمة وغيرهم مما يمكن قبوله،كما يمكن ذكر غيره بقليل من التأمل.

ب– مناسبة السورة لما بعدها (النساء):

ذكر الآلوسي في تناسب السورتين ما يأتي:

---

(١) الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ت: علي عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ) ج٢، ص٧١.

(٢) رضا، مُحَمَّد رشيد بن علي، **تفسير المنار** (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٠م) ج٣، ص١٢٧.

١. آل عمران خُتمت بالأمر بالتقوى، وافتُتِحت هذه السورة به، وذلك من آكد وجوه المناسبات في ترتيب السور.

٢. في آل عمران ذكر قصة أُحُد مستوفاة، وفي هذه السورة ذكر ذيلها وهو قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ (سورة النساء: ٨٨) فإنه نزل فيما يتعلق بتلك الغزوة[١].

وأضاف صاحب المنار بعضًا من أوجه المناسبات بينها وبين ما قبلها، ومن هذه الأوجه:

١. محاجة أهل الكتاب جميعًا في كل منهما.

٢. ذكر شيء عن المنافقين في كل منهما، وكونه في سياق الكلام عن القتال.

٣. ذكر أحكام القتال في كل منهما[٢].

رابعًا: عمود السورة وموضوعاتها

سورة آل عمران من السور المدنية الطويلة، وعمود السورة العام هو إثبات وحدانية الله تعالى، وقد اشتملت هذه السورة على الموضوعات الآتية:

١. التنويه بفضيلة الإسلام وأنه لا يعدله دين، وأنه لا يُقبل دين عند الله، بعد ظهور الإسلام، غيره.

٢. تحذير الكافرين من الاغترار بالدنيا، وتحذير المسلمين من موالاتهم.

٣. الثناء على عيسى عليه السلام وآل بيته، وبيان معجزاته.

٤. مناقشة أهل الكتاب، خصوصًا النصارى.

٥. بيان حقيقة الدنيا وتقلّبها، والتقليل من شأن مصائبها.

٦. بيان حقيقة الموت، والترغيب في أن يكون في سبيل الله.

---

(١) الآلوسي، **روح المعاني**، ج٢، ص٣٨٩.

(٢) ينظر: رضا، **تفسير المنار**، ج٤، ص٢٦٣.

٧. الأمر بعبادة الله، وعدم الإشراك به.
٨. تأكيد وحدة الرسالات والدين الحق الذي هو الإسلام.
٩. وخُتِمت السورة بالأمر بالتفكر في ملكوت الله[١].

ويرى الشيخ الغزالي رحمه الله، أن سورة آل عمران تدور حول قضيتين كبيرتين:

الأولى: حوار مع أهل الكتاب الذين يخاصمون الإسلام داخل المدينة.

والأخرى: تعليق على هزيمة أُحُد التي أصابت المسلمين بجرحٍ غائر.

والحديث في كلتا القضيتين يأخذ بدايته منفردًا في أول السورة ووسطها، ثم يختلط الحوار والتعليق أواخر السورة، كأن جهاد الدعوة يقضي بالثبات في الموقفين، ويوجب على المسلمين مواجهة مشتركة لكيد اليهود داخل المدينة، وهجوم الوثنيين عليها، تمشّيًا مع عدوانهم السابق"[٢].

وأرى أن ما ذكره الغزالي جاء بشئ من الاختصار، فقد اشتملت السورة على العقيدة بشكل عام، وإثبات وحدانية الله عز وجل، وأن الإسلام هو الدين الحق، وبينت علو درجات الرسل، وأن دعوتهم كانت واحدة، ودعت لاتباع ملة إبراهيم عليه السلام، والاعتصام بحبل الله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحدثت الآيات بعد ذلك عن الجهاد، وعن غزوة بدر وأحد، إلا أن غزوة أحد جاءت بشيء من التفصيل، ثم بينت أن النصر بيد الله تعالى وحده، وأن الأحداث في هذا الكون تجري وفق سنن إلهية، وأن ما أصاب الإنسان إنما هو بما كسبت يداه.

---

(١) ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٤، ص١٩٨/ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣، ص١٤٤-١٤٥/ نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، بإشراف أ.د مصطفى مسلم (الإمارات، جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط١، ١٤٣١هـ /٢٠١٠م) ج١، ص٤٠٧_٤١٢.

(٢) ينظر: الغزالي، مُحَمَّد أحمد السقا، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن** (مصر: دار الشروق، د.ط، د.ت) ص٢٧.

الفصل الأول
أخطاء الجماعة المؤمنة في سورة آل عمران

ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

التمهيد: حول مصطلحات العنوان.

- مفهوم الخطأ
- مفهوم الجماعة المؤمنة

المبحث الأول: الحكمة من وقوع الجماعة المؤمنة في الأخطاء

- المطلب الأول: الخطأ طبيعة بشريّة
- المطلب الثاني: الابتلاء والتمحيص
- المطلب الثالث: تحقيق الوظيفة النبوية في الإصلاح والتزكية
- المطلب الرابع: توفير رصيد الخبرة للقرون اللاحقة

المبحث الثاني: أخطاء الجماعة المؤمنة التي ذكرتها سورة آل عمران

- المطلب الأول: الاختلاف والتنازع
- المطلب الثاني: مخالفة أمر الرسول ﷺ
- المطلب الثالث: الاعتداد بالرأي
- المطلب الرابع: إرادة الدنيا
- المطلب الخامس: ربط الدعوة بمصير الداعية
- المطلب السادس: الفرار من المعركة

التمهيد
حول مصطلحات العنوان

أولاً: مدلول الخطأ

الخطأ لغةً: "الخَطْءُ والخَطَأُ والخَطَاءُ: ضِد الصواب، والخطيئَةُ: الذنبُ أو ما تُعُمدَ منه، كالخِطْءِ بالكسر. والخَطَأُ: ما لم يُتَعَمدْ"(١). "وأخطأ يُخْطِيء: إذا سلك سَبيلَ الخَطَأ عمدًا أو سهوًا، ويُقال خَطِيء بمعْنى أخطأ أيضًا"(٢).

قال ابن منظور: "والخَطَأُ ما لم يُتَعَمَّدْ، والخِطْء ما تُعُمِّدَ، ويقال لمن أَراد شيئًا ففعل غيره أَو فعل غير الصواب أَخْطَأَ"(٣).

اصطلاحاً: "الخطأ هو ما ليس للإنسان فيه قصد، وهو عذر صالح لسقوط حق الله تعالى إذا حصل عن اجتهاد"(٤).

وبالنظر إلى التعريف اللغوي للخطأ، نجد أن الخطأ ضد الصواب، فهو أمر مخالف لما يجب أن يكون، سواء كان عمدًا أو سهوًا، وقد ورد لفظ الخطأ في القرآن الكريم بالمعنيين:

---

(١) الفيروز آبادي، مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م) باب الهمزة، فصل الخاء/ الرازي، **مختار الصحاح**، مادة: خ ط أ.

(٢) الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، باب الخاء مع الطاء.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، كتاب الهمزة، فصل الخاء المعجمة.

(٤) الجرجاني، علي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف، **كتاب التعريفات** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص٩٩.

١. السهو وعدم القصد، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (سورة البقرة: ٢٨٦) أي: "أخطأنا في فعل شيء نهيتنا عن فعله ففعلناه، على غير قصد منا إلى معصيتك، ولكن على جهالة منا به وخطأ"[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ (سورة الأحزاب: ٥).

٢. العمد والذنب، كقوله تعالى في من يقتلون أبناءهم: ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ (سورة الإسراء: ٣١) أي: "ذنبًا عظيمًا، وإثمًا كبيرًا"[٢]. ومنه قوله تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام: ﴿ إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ (سورة يوسف: ٩٧).

ثانياً: مدلول الجماعة المؤمنة

الجماعة لغة: "مأخوذة من الجمع، والجمعُ: تأْليفُ المتَفَرِّقِ، جَمَعَ الشيءَ عن تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعًا وجَمَّعَه وأَجْمَعَه فاجتَمع، وتَجَمَّعَ القوم: اجتمعوا من هنا وهنا، والجَمْعُ أيضًا: اسم لجماعة الناس"[٣].

اصطلاحاً: "العدد الكثير من الناس والشجر والنبات، وطائفة من الناس يجمعها غرض واحد"[٤].

---

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٦، ص١٣٢.

(٢) ينظر: البغوي، أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود بن مُحَمَّد بن الفراء، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ت: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ) ج٣، ص١٣١/ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٥، ص٧٢.

(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، كتاب العين المهملة، فصل الجيم/ الرازي، **مختار الصحاح**، مادة: ج م ع. بتصرف يسير.

(٤) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط** (مصر: دار الدعوة، د.ط، د.ت) مادة: ج م ع.

وفي الكلام عن مصطلح (الجماعة) في مقابل الفرقة، أو نشأة بعض الفِرَق، وبخاصة فرق الغلو في التاريخ الإسلامي، ذكر الشاطبي رحمه الله خمسة أقوال في المراد بالجماعة، منها: إن الجماعة هي الصحابة على الخصوص، فإنهم الذين أقاموا عماد الدين، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلًا[1].

وأرى أن مدلول الجماعة ينطبق على الصحابة ابتداءً، وكل من سلك مسلكهم، وسار على منوالهم، فهو من الجماعة المؤمنة التي يتوجه إليها الخطاب القرآني في كل الأحوال؛ لأن الأساس في هذا الخطاب: أن العبرة بعموم لفظه وليست بخصوص سببه.

(١) ينظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، **الاعتصام** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت) ص٤٢٩.

المبحث الأول
الحكمة من وقوع أخطاء الجماعة المؤمنة

المطلب الأول: الخطأ طبيعة بشريّة

لقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن يقع عباده في الذنوب والمعاصي، فالإنسان خُلق من عجل، ووصفه الله عز وجل بأنه عجول، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ (سورة الإسراء: ١١)، "وهذا من جهل الإنسان وعجلته"[(١)]، والاستعجال يجرّه إلى الوقوع في الخطأ، وقد بيّن ذلك النبي ﷺ بقوله: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ؛ وَخَيرُ الخَطّائينَ التَّوّابُون»[(٢)]ولو شاء سبحانه لعصمهم؛ ولكنه قضى بعلمه وقوعهم فيها لحكم عظيمة، منها[(٣)]:

١. أنه أراد أن يعرّفهم حاجتهم إلى حفظه وصيانته لهم، فيعرفون حقيقة أنفسهم، وأنها تقع في الخطأ فلا يدخلهم العُجب، فيستعينون به ويتضرعون إليه بالدعاء والاستغفار، وينشغلون بإصلاح أنفسهم، فيكتمل عندهم مقام الذل والانكسار، فيستغفرونه فيغفر لهم، ويتبيّن لهم كرم الله وحلمه عليهم، بقبول توبتهم، ويحبهم الله عز وجل ويفرح بتوبتهم.

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م) ص٤٥٤.

(٢) أخرجه **الترمذي** في السنن، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ج٤، ص٦٥٩، رقم (٢٤٩٩)، وأخرجه **ابن ماجه** في السنن، باب ذكر التوبة، ج٢، ص١٤٢٠، رقم (٤٢٥١)، وحسنه الألباني في كتاب **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج٥، ص٤٩٩، رقم (٢٤٩٩) .

(٣) ابن القيم، مُحَمَّد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ت: مُحَمَّد حامد الفقي (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ج٣، ص٣٩٩، بتصرف.

٢. اقتضى كماله سبحانه أن يفعل ما يشاء، ويأمر ويتصرف ويدبر كما يشاء، وأن يعرف الخلق صفات كماله ونعوت جلاله، ولذلك خلق خلقًا يعصونه ويخالفون أمره؛ لتعرف ملائكته وأنبياؤه ورسله وأولياؤه كمال مغفرته، وعفوه وحلمه وإمهاله، ثم أقبل بقلوب من شاء منهم إليه، فظهر كرمه في قبول توبته، وبره ولطفه في العَود عليه بعد الإعراض عنه، فلمَن كانت تكون مغفرته لو لم يخلق الأسباب التي يعفو عنها ويغفرها، والعبد الذي له يغفر؟ فخلق العبد المغفور له، وتقدير الذنب الذي يُغفر، والتوبة التي يَغفر بها، هو نفس مقتضى العزة والحكمة، وموجب الأسماء الحسنى والصفات العلا.

ومن رحمة الله عز وجل بعباده، أنه يغفر لهم عند توبتهم وعودتهم إليه، قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»[(١)]، فالصحابة ﷺ بشر، غير معصومين من الخطأ بالاتفاق، يُصيبون ويُخطئون، "بل هم مع كونهم أولياء الله ومن أهل الجنة، لهم ذنوب يغفرها الله لهم"[(٢)]، وما ورد في حق بعضهم من فعل الذنب، فهو لحكمة أرادها الله عز وجل، سأذكر بعضها في المطالب القادمة إن شاء الله.

---

(١) أخرجه **مسلم** في صحيحه، كتاب: التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، ج٤، ص٢١٠٦، رقم (٢٧٤٩).

(٢) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **منهاج السنة النبوية**، ت: مُحَمَّد رشاد سالم (السعودية: جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ج٤، ص٢٤٤.

المطلب الثاني: الابتلاء والتمحيص

خلق الله الخلق لحكمة، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل معهم الكتب، وبيّن لهم طريق الهدى وطريق الضلال، وأكرمهم بالعقل؛ ليُميّزوا به بين الحق والباطل، وخلق فيهم حب الشهوات، ليبتليهم ويختبرهم، فيُثيب المطيع، ويُعاقب العاصي.

والابتلاء هو الاختبار، قال الراغب: "يقال: بَلِيَ الثوب بِلًى وبَلاءً، أي: خَلقَ، وبَلَوْتُهُ: اختبرته، كأني أخلقته من كثرة اختباري له".[(١)]وقال ابن منظور: "بَلوتُ الرجلَ بَلوًا وبَلاءً وابتَلَيته اختَبَرته، وبَلاهُ يَبلُوه بَلوًا إذا جَربَه واختَبَره"[(٢)]،"ومعنى الابتلاء: الاختبار والامتحان، وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء، لأنه عالم بهم؛ ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضًا"[(٣)].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (سورة الملك: ٢) أي: "ليختبركم، واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم الحجة بما يصدر منهم، وقد كان الله علم ما يفعلون قبل كونه، والمعنى ليبلوكم فيجازيكم بما ظهر منكم، أيكم أحسن عملا"[(٤)]

أما التمحيص فهو التنقية والتخليص، قال الراغب: "أصل المحْصِ: تخليص الشيء مما فيه من عيب، يقال: مَحَصْتُ الذّهب ومَحَّصْتُهُ: إذا أزلت عنه ما يشوبه من خبث"[(٥)].

---

(١) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد، **المفردات في غريب القرآن**، ت: صفوان عدنان الداودي (دمشق: الدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ) ص١٤٥.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، باب الواو والياء من المعتل، فصل الباء الموحدة.

(٣) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج١، ص١٦١.

(٤) ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج٢، ص٣٩٤.

(٥) الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص٧٦١.

وقال تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران:١٤١) والمعنى: "وليختبرَ الله الذين صدَّقوا الله ورسوله، فيبتليهم بإدالة المشركين منهم؛ حتى يتبيّن المؤمن منهم المخلص الصحيح الإيمان، من المنافق"(١).

قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ (سورة المؤمنون: ٣٠) "وشأننا ابتلاء أوليائنا، فإن الابتلاء من آثار الحكمة الإلهية؛ لترتاض به نفوس أوليائه، وتظهر مغالبتها للدواعي الشيطانية، فتحمل عواقب البلوى، ولتتخبط نفوس المعاندين، وينزوي بعض شرّها زمانًا"(٢).

واقتضت حكمة الله عز وجل أن جنته لا يدخلها أحد إلا بعد الابتلاء والتمحيص؛ لأن سلعة الله غالية، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «مَنْ خَافَ أَدْلجَ، وَمَنْ أَدلجَ بَلَغَ المنزِل، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِية، أَلَا إِنَّ سِلعَةَ اللهِ الجَنَّة»(٣)

والله عز وجل يبتليهم؛ لِيُعدّ طائفة منهم بهذا الابتلاء لحمل أمانته، بعد الخلوص والتجرد والمعرفة والوعي، والاستعداد والتهيؤ عن طريق هذا الابتلاء، وليميز الخبيث من الطيب في الجماعة المؤمنة، وليعلم من يتبع الرسول ﷺ ممن ينقلب على عقبيه، وليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة(٤).

---

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٧، ص٢٤٤.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٨، ص٤٨.

(٣) أخرجه **الترمذي** في السنن، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، ج٤، ص٦٣٣، رقم (٢٤٥٠)، وصححه الألباني في كتابه **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج٥، ص٤٥٠، رقم (٢٤٥٠).

(٤) ينظر: قطب، سيد إبراهيم حسين الشاذلي، **في ظلال القرآن** (القاهرة: دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ) ج٢، ص١٠٤٨.

المطلب الثالث: تحقيق الوظيفة النبوية في الإصلاح والتزكية

إذا نظرنا إلى حال العرب في الجاهلية، نجد أنهم كانوا يعيشون في جهل ديني كبير، كانوا وثنيين يعبدون ما يَنحِتون من أصنام، يطوفون بها ويذبحون عندها ويدعونها من دون الله،كما أنهم يعيشون انحرافات خُلُقيّة واجتماعية وفوضى سياسية؛ فقد كانت الحروب تقوم بينهم لأتفهِ الأسباب، وتستمر أعوامًا طويلة، وانتشرت فيهم العصبيّة القبليّة، والتمسك بالعادات والتقاليد، إلى غير ذلك من الجهل والظلام الذي كانوا يعيشون فيه.

وفي هذا المجتمع كان يعيش الصحابة رضوان الله عليهم، فأرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ليكون سببًا في هدايتهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ** ﴾ (سورة آل عمران: ١٦٤) أي "لقد تطوّل[١]الله على المؤمنين حين أرسل فيهم نبيًّا من أهل لسانهم، ولم يجعله من غير أهل لسانهم، فلا يفقهوا عنه ما يقول، يقرأ عليهم آي كتابه وتنزيله ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ** ﴾ يعني: يطهّرهم من ذنوبهم باتباعهم إياه، وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم، ويعلمهم كتاب الله الذي أنزله عليه، ويبين لهم تأويله ومعانيه ﴿**وَٱلْحِكْمَةَ** ﴾، ويعني بالحكمة: السُّنةَ التي سنها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيانَه لهم ﴿ **وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾، يعني: وإن كانوا من قبل أن يمنّ الله عليهم بإرساله رسوله الذي هذه صفته في جهالة جهلاء، وفي حيرة عن الهدى عمياء، لا يعرفون حقًّا، ولا يبطلون باطلًا"[٢].

---

(١) تطوّل: أي تفضّل، من الطَّول وهو الفضل. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، باب: ط و ل .

(٢) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٧، ص٣٦٩.

فالنبي ﷺ كان يبادر إلى تصحيح أخطاء الصحابة، ويقوّم سلوكهم، منطلِقًا في ذلك من معايير إسلامية واضحة في القرآن الكريم،كقوله ﷺ: «المسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»[1]، وإرشاده للصحابة بالهدوء والسكينة عندما سمع منهم جلبة فقال لهم: «ما شأنكم؟» قالوا: استعجلنا إلى الصلاة؟ قال: «فَلاَ تَفْعَلُوا إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا»[2]، وغير ذلك من المواقف الكثيرة التي ربّاهم بها، فجعل منهم رجالًا، وأخرج منهم جيلًا قرآنيًا فريدًا، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، وأخرج منهم قادة وعلماء ومجاهدين ومربين، وأقام بهم دولة نشرت العدل في مشارق الأرض ومغاربها، بعد أن كان تاريخها مجموعة من المعارك والحروب، لتصبح بعد ذلك أمة تقود الأمم.

المطلب الرابع: توفير رصيد الخبرة للقرون اللاحقة

لا شك أن صحابة رسول الله ﷺ هم خير القرون على الإطلاق؛ فالقرآن نزل يجيب على أسئلتهم، ويصحح أخطاءهم، ويبيّن أحكام النوازل والوقائع، فأصبحوا صورًا حيّة للقرآن، وقد اختارهم الله عز وجل لصُحبة نبيه ﷺ، وشرح صدورهم لقبول دعوته، فهم تلامذة المدرسة النبوية، ربّاهم رسول الله ﷺ، فأحسن تربيتهم، قال معاوية بن الحكم السلمي[3] رضي الله عنه: «مَارَأَيتُ مُعَلّمًا لَاقَبلَهُ وَلَابَعدَهُ أَحْسَنَ تَعلِيمًا مِنْه»[1]، وهذه التربية الفريدة

(١) أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ج١، ص١١، رقم (١٠).

(٢) أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب الأذان، باب قول الرجل فاتتنا الصلاة، ج١، ص١٢٩، رقم (٦٣٥).

(٣) معاوية بن الحكم السلمي: صحابي جليل، سكن المدينة، روى عن النبي ﷺ بعض الأحاديث، منها هذا الحديث. ينظر: ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٥، ص١٩٩.

وفّرت لنا رصيد الخبرة في التعامل مع أخطاء المجتمع، في ضوء المنهج النبوي في تصويب الأخطاء، بعد أن رأينا أن مجتمع الصحابة خير المجتمعات البشريّة وأفضلها، كما شهد لهم الله عز وجل بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (سورة آل عمران: ١١٠)

"ولا شكّ أن الصحابة كانوا أفضل القرون التي ظهرت في العالم؛ لأن رسولهم أفضل الرسل، ولأن الهدى الذي كانوا عليه لا يماثله هدى أصحاب الرسل الذين مضوا، فإن أخذت الأمة باعتبار الرسول فيها، فالصحابة أفضل أمة من الأمم مع رسولها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خَيرُ القُرُونِ قَرنِي»[٢]، وإن أخذت الأمة من عدا الرسول، فكذلك الصحابة أفضل الأمم التي مضت بدون رُسلها، وهذا تفضيل للهدى الذي اهتدوا به، وهو هدى رسولهم مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وشريعته"[٣].

فالواجب علينا الأخذ بهذا المنهج النبوي؛ ليستقيم المجتمع، والتّأسّي بأصحابه الكرام فهم قدوة لمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة.

---

(١) أخرجه **مسلم** في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ج١، ص٣٨١، رقم (٥٣٧).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ في الصحيحين ولا خارجهما، والذي في الصحيحين جاء بلفظ: (خير الناس قرني) أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم (٢٦٥٢) وأخرجه **مسلم** في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ج٤، ص١٩٦٣، رقم (٢٥٣٣).

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٤، ص٤٨، بتصرف يسير.

المبحث الثاني
أخطاء الجماعة المؤمنة التي ذكرتها سورة آل عمران

لقد تنوعت بطولات الصحابة ﷺ في غزوة أحد في الذّب عن دينهم وعن نبيهم ﷺ، وظهرت فيهم نماذج فريدة تُظهر صادق الحب له ﷺ، وكانت لهم تضحيات كبيرة، برهنوا بها على إيمانهم وصدقهم مع الله عز وجل، حتى نزل فيهم قول الله عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ (سورة الأحزاب: ٢٣)، فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ»، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ المسْلِمُونَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، - يَعْنِي المشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ»، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ»، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ المشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ: " كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية، (سورة الأحزاب: ٢٣)"[1]

---

(١) أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ (سورة الأحزاب: ٢٣)، ج٤، ص١٩، رقم (٢٨٠٥).

وحفظت لنا كتب السِّيَر صورًا مشرقة من تضحيات الصحابة رضوان الله عليهم في أحد، وهي التي بيّن فيها أصحابها معاني الصدق مع الله تعالى، والتضحية في سبيل إعلاء كلمته سبحانه.

فقد أبلى أبو دجانة، وابن أبي وقاص بلاءً حسنًا وهما يدفعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، "قال ابن إسحاق: وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره، وهو منحنٍ عليه، حتى كثُر فيه النبل، ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال سعد: فلقد رأيته يناولني النبل وهو يقول: ارم، فداك أبي وأمي، حتى إنه ليناولني السهم ما له نصل، فيقول: ارم به، وانتهى أنس بن النضر، عم أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتِل رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قتل، وبه سُمي أنس بن مالك. قال ابن إسحاق: فحدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة، فما عرفه إلا أخته، عرفته ببنانه"[1].

ومع أن الصحابة رضوان الله عليهم لهم مقام رفيع مَصون الجانب، مُعظَّم الشأن، وقد شهد بفضلهم القرآن، وجاءت السنة المطهرة بذلك؛ إلا أنهم ليسوا معصومين، ووقوع الخطأ منهم وارد؛ لأنهم بشر، والقرآن ينظر لهم بهذه النظرة، فيصحّح لهم ما كانوا يقعون فيه من لحظات الضعف العارضة، ويسعى إلى علاجها لترتفع نفوسهم وتصل إلى أعلى المستويات، وهم أسرع الناس رجوعًا إلى الله، وتوبةً وإنابةً إليه.

وقد كانت غزوة أحد امتحانًا عظيمًا للمؤمنين، لم يحابِ الله عز وجل فيها المؤمنين عندما وقع الخلل منهم، وتميّز فيها أهل الإيمان من أهل النفاق، وتميزت مراتب أهل الإيمان

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، ص٨٢- ٨٣.

أيضًا، وعُرِف الذين لم يركنوا إلى الدنيا من الذين مالوا إليها بعض الميل في حالة ضعف بشري، وتبيّن فيها أن الخطأ لا يكون من الأفراد فقط، بل يكون من الجماعات أيضًا، وهذه الإرادة الإلهية التي وقعت في هذه الغزوة، لأجل العبرة والتمحيص، قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ (سورة آل عمران: ١٤١).

وفي المطالب الآتية سأذكر الأخطاء التي وقع فيها بعض الصحابة رضوان الله عليهم في غزوة أحد، والتي جاء ذكرها في سورة آل عمران.

المطلب الأول: الاختلاف والتنازع

ذكر الله عز وجل وقوع التنازع بين المؤمنين في غزوة أحد؛ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[1](سورة آل عمران: ١٥٢) حيث تنازع الرماة فيما بينهم، وكان اختلافهم حين انهزم المشركون فقال بعضهم لبعض: «الغَنِيمَةَ أَيْ قَوْمِ الغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الغَنِيمَةِ »[2].

والمراد من التنازع أنه عليه الصلاة والسلام أمر الرماة بأن لا يبرحوا عن مكانهم البتّة، وجعل أميرهم عبدالله بن جبير؛ فلما ظهر المشركون أقبل الرماة عليهم بالرمي الكثير حتى انهزم المشركون، ثم إن الرماة رأوا نساء المشركين صعدن الجبل وكشفن عن سوقهن، بحيث بدت خلاخيلهن، فقالوا: الغنيمة الغنيمة، فقال عبدالله: عهد الرسول إلينا أن لا نبرح عن هذا

(١) الفشل: الجزع والجبن والضعف، الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، حرف الفاء، باب الفاء مع الشين.

(٢) أخرجه **البخاري**، كتاب الجهاد، باب ما يكره من الاختلاف والتنازع في الحرب، ج٤، ص٦٥، رقم (٣٠٣٩).

المكان، فأبوا عليه وعصوا وخالفوا أمر نبيهم، وذهبوا الى طلب الغنيمة، وبقي عبدالله مع طائفة قليلة دون العشرة، إلى أن قَتَلهم المشركون، وهذا مما أجمع عليه المفسرون[1].

والتنازع عاقبته الفشل والخسران، وذهاب القوة، سواء أكان في ميدان القتال، أم في غيره من ميادين الحياة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٢) "وحاصل المعنى: أنه بعد أن صدقكم وعده، فكنتم تقتلونهم بإذنه ومعونته، قتل حسٍ واستئصال، صرفكم عنهم بفشلكم وتنازعكم وعصيانكم، وحال بينكم وبين تمام النصر؛ ليمتحنكم بذلك"[2].

وقد ربط الله عز وجل التنازع بالفشل في هذه الآية، وفي آيتين من سورة الأنفال، قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ﴾ (سورة الأنفال: ٤٣)، وذلك في غزوة بدر. وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ﴾ (سورة الأنفال: ٤٣).

وقد اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٢) على قولين:

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٧، ص٢٨٩/ الرازي، فخر الدين مُحَمَّد بن عمر التميمي، **مفاتيح الغيب** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ) ج٩، ص٣٨٨/ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد، **زاد المسير في علم التفسير**، ت: عبدالرزاق المهدي (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ) ج١، ص٣٣٣.

(٢) رضا، **تفسير المنار**، ج٤، ص١٥٠.

الأول: أنه من المقدم الذي معناه التأخير، أي: حتى إذا تنازعتم وعصيتم فشلتم، أي جبنتم وضعفتم[1].

الثاني: أن الأفعال الثلاثة في الآية رُتّبت على حسب ترتيبها في الحصول، فيكون المعنى: حتى إذا فشلتم، ضعفتم في الرأي والعمل، فلم تقووا على حبس أنفسكم عن الغنيمة، وهذا قد حصل أولًا، فنشأ عنه التنازع بينهم في ملازمة الموقف، وفي اللحاق بالجيش للغنيمة، ونشأ عن التنازع تصميم معظمهم على مفارقة الموقف الذي أمرهم الرسول عليه الصلاة والسلام بملازمته، وعدم الانصراف منه[2].

وضعّف الرازي رحمه الله، قول من فسّر الفشل بالجبن، وذكر أنه باطل بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾ (سورة الأنفال: ٤٣) أي فتضعفوا؛ لأنه لا يليق به أن يكون المعنى فتجنبوا، وقال: أن القوم لما رأوا هزيمة الكفار وطمعوا في الغنيمة فشلوا في أنفسهم عن الثبات طمعًا في الغنيمة، ثم تنازعوا بطريق القول في أنّا هل نذهب لطلب الغنيمة أم لا؟ وبذلك تكون الآية على ترتيبها[3].

وأرى أن القول بالتقديم والتأخير هو الأرجح؛ ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾ (سورة الأنفال: ٤٣) فالتنازع يُفضي إلى الفشل والضعف، وكلَّما وُجد التنازع وُجد الفشل، وتلك سنّة مطّردة.

---

(١) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٤، ص٢٣٤-٢٦٣/ الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٧، ص٢٩٢.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣، ص٣٢٣/ البغوي، **معالم التنزيل**، ج٢، ص١١٩/ رضا، **تفسير المنار**، ج٤، ص١٥٠.

(٣) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ص١٢٣٧.

المطلب الثاني: مخالفة أمر الرسول ﷺ

نالَ الصحابةُ رضي الله عنهم الفضلَ لصُحبتهم وإخلاصِهم، وسَبْقهم في الاستِجابة لله ولرسولِه، بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وأوفوا ببيعهم، فضربوا أروع الأمثلة في الامتثال لأمره ﷺ، وانقادُوا لأوامره ﷺ في حركاتهم وسكَناتهم؛ كفُّوا عن أقوالٍ وأفعالٍ حين سمِعوا النبي ﷺ ينهَى عنها، ولم يُراجِعوه فيها؛ استِجابةً له، وفدَوا النبيَّ ﷺ بأرواحِهم طاعةً لله، ولكن قد تعتري بعضهم حالات الضعف البشري؛ فقد حصل من بعضهم – وهم الرماة– مخالفة لأمر رسول الله ﷺ في غزوة أحد، قال تعالى: ﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٢) أي: "وعصيتم وخالفتم نبيكم، فتركتم أمره وما عهد إليكم، وإنما يعني بذلك الرماة، الذين كان أمرَهم ﷺ بلزوم مركزهم ومقعدهم من فم الشِّعب بأحُد، بإزاء خالد بن الوليد ومن كان معه من فرسان المشركين"(١).

وقد سمّى الله عز وجل هذه المخالفة عصيانًا؛ لأنها ناشئة عن اجتهاد ليس في موضعه كما قال ابن عاشور: "وإنَّما سُمّيت مخالفة من خالف أمر الرسول عصيانًا، مع أن تلك المخالفة اجتهاد لا عن استخفاف، إذ كانوا قالوا: إنّ رسول الله أمرنا بالثبات هنا لحماية ظهور المسلمين، فلمَّا نصر الله المسلمين فما لنا وللوقوف هنا حتَّى تفوتنا الغنائم، فكانوا متأوِّلين، فإنَّما سُمّيت هنا عصيانًا؛ لأنّ المقام ليس مقام اجتهاد، فإنّ شأن الحرب الطاعة للقائد من دون تأويل، أو لأنّ التأويل كان بعيدًا فلم يُعذروا فيه، أو لأنَّه كان تأويلًا لإرضاء حبّ المال، فلم يكن مكافئًا لدليل وجوب طاعة الرّسول"(٢).

وكانت هذه المخالفة درسًا عمليًا للصحابة رضوان الله عليهم؛ لأنها كانت سببًا في الهزيمة بعد الانتصار، وكان أثرها على المسلمين عامة، فهُزِموا بعد أن كانوا منتصرين في

---

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٧، ص٢٨٩.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٤، ص١٣٠.

بداية المعركة عند امتثالهم أمر رسول الله ﷺ، فتعلموا من ذلك درسًا في أهمية طاعة القائد بوجه عام، وفي الميدان العسكري بوجه خاص، حفاظًا على المصلحة العامة للمجتمع.

المطلب الثالث: الاعتداد بالرأي

لاشك أن للشورى أهمية كبرى في الإسلام، فهي مبدأ أساسي من مبادئه، بل إن الإسلام جعلها من صفات المؤمنين الصالحين، فقد وردت في السياق القرآني الكريم بين ركنين عظيمين من أركان الدين، هما الصلاة والزكاة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (سورة الشورى: ٣٨) وكانت الشورى من أهم ماحرص عليه الرسول ﷺ، فقد استشار الصحابة في الأسرى يوم بدر، واستشارهم قبل الخروج لغزوة أحد[١]، وفي غير ذلك من المواقف، فكانت الشورى تطبيقًا عمليًا في حياته ﷺ، ولو كان لأحد أن يستغني عن الشورى لكان ﷺ أولى الناس بذلك؛ لكمال عقله وتأييده بالوحي.

وقد جاءت أوامر الدين صريحة وواضحة في النهي عن الاعتداد بالرأي والاستبداد بالقرار؛ لأن الإنسان لا يستقل بعقله في معرفة المصلحة والخير في كل أمر، خاصة فيما يرتبط بالشأن العام؛ لأن الشؤون العامة تمس حياة الناس ومصالحهم، فلا يصح تجاوز إرادتهم ولا تجاهل رأيهم.

وهذا ما وقع فيه بعض الرماة، فعلى الرغم من أنهم كانوا في موقف يرتبط بمصلحة المسلمين جميعًا؛ إلا أنهم نزلوا من الجبل دون أن يعتبروا بحرص قائدهم _عبدالله بن جبير_ الذي أشار عليهم بالالتزام بالتوجيه النبوي، بعد رؤيتهم انتصار المسلمين في بداية المعركة،

(١) ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١، ص٦١٥/ ج٢، ص٦٣.

وتَرْك المشركين للغنائم، فوقعت الهزيمة للمسلمين، وأصاب المسلمين ما أصابهم نتيجة هذه المخالفة.

وقد جاء الأمر بالشورى في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٩) تقريراً لمبدأ الشورى؛ لأنه مبدأ أساسي لا يقوم نظام الإسلام على سواه، وسأذكر هذا بالتفصيل في الفصل القادم إن شاء الله.

المطلب الرابع: إرادة الدنيا

علِم الصحابة رضوان الله عليهم أن الدنيا زائلة، وأن الآخرة خير وأبقى، فزهدوا في الدنيا، وتنافسوا وتسابقوا في الخيرات، وعلّقوا قلوبهم بالآخرة، خاصة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحذرهم من الاغترار بالدنيا، والحرص عليها. لكن قد يتسلل حب الدنيا إلى قلوب أهل الإيمان ويخفى عليهم، فيُؤثرون الدنيا ومتاعها على الآخرة في بعض المواقف، وهذا ما حصل لبعض الصحابة في غزوة أحد، عندما أرادوا الغنيمة، وقد ذكر الله عز وجل ذلك فقال: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٩) وهؤلاء الذين أرادوا الدنيا: هم الرماة الذين تركوا أماكنهم، وأرادوا الغنيمة، "قال المفسرون: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ هم الذين طلبوا الغنيمة وتركوا مكانهم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، وهم الذين ثبتوا"[(١)] .

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٧، ص٢٩٣/ ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج١، ص٣٣٤/ البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ) ج٢، ص٤٣/ البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج١، ص٥٢٢.

والإنسان بطبيعته يمر بحالات من الصعود والهبوط، وموقف واحد وقع فيه عدد قليل من الصحابة لا يجعلنا نطعن فيهم، أو نحكم عليهم بالتعلق بالدنيا، والتفريط بالآخرة، قال ابن عاشور: "والمراد بقوله: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾ إرادة نعمة الدنيا وخيرها، وهي الغنيمة؛ لأنّ من أراد الغنيمة لم يحرص على ثواب الامتثال لأمر الرسول ﷺ بدون تأويل، وليس هو مفرّطًا في الآخرة مطلقًا، ولا حاسبًا تحصيل خير الدنيا في فعله ذلك مُفيتًا عليه ثواب الآخرة في غير ذلك الفعل، فليس في هذا الكلام ما يدلّ على أنّ الفريق الَّذين أرادوا ثواب الدنيا قد ارتدّوا عن الإيمان حينئذ، إذ ليس الحرص على تحصيل فائدة دنيوية من فعل من الأفعال، مع عدم الحرص على تحصيل ثواب الآخرة من ذلك الفعل بِدالٍّ على استخفاف بالآخرة، وإنكارٍ لها، كما هو بيّن، ولا حاجة إلى تقدير: منكم من يريد الدنيا فقط"[1].

ولكن عندما كانوا فريقين: منهم من يريد الدنيا، ومنهم من يريد الآخرة، لم يعد الهدف واحدًا، فأراد الله عز وجل أن يبتليهم ويمتحنهم؛ حتى يعلمهم درسًا في الإخلاص، وترك الدنيا والإقبال على الآخرة، وبيّن لهم أن حب الدنيا ومخالفة ولي الأمر سبب في تأخّر النصر، فكان هذا الموقف عبرة لهم، ولكل المؤمنين من بعدهم.

روى الطبري عن ابن عباس قال: "لما هزم الله المشركين يوم أحد، قال الرماة: "أدركوا الناس ونبيَّ الله ﷺ لا يسبقوكم إلى الغنائم، فتكون لهم دونكم! وقال بعضهم: لا نَريم[2]حتى يأذن لنا النبي ﷺ، فنزلت: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾، قال ابن مسعود: ما علمنا أن أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرَضَها، حتى كان يومئذ"[3].

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٤، ص١٢٩.

(٢) أي: لا نزال مقيمين، من (رام) يريم، أي: برح. ينظر: الرازي، **مختار الصحاح**، باب: ر ي م.

(٣) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٧، ص٢٩٥، بتصرف.

والقرآن يسلّط الأضواء على خفايا القلوب، التي ما كان المسلمون أنفسهم يعرفون وجودها في قلوبهم، وبذلك يضع قلوبهم أمامهم مكشوفة بما فيها، ويعرفهم من أين جاءتهم الهزيمة ليتقوها![1].

المطلب الخامس: التعلق بشخص النبي ﷺ

عندما غاب رسول الله ﷺ عن الصحابة في المعركة، وأُشيع بينهم خبر مقتله، وقع الخبر كالصاعقة في جيش المسلمين؛ خاصة وأنه القائد الأعظم، ففرّ بعضهم من المعركة، والبعض الآخر جلسوا يائسين، فألقوا سلاحهم، وقالوا: لماذا نقاتل، وقد مات رسول الله ﷺ ؟ أما الذين ثبتهم الله فقد استمروا في الجهاد إلى آخر لحظة، وأخذوا يحثون الناس على الاستمرار فيه حتى تكون كلمة الله هي العليا، وفي هذه الحادثة نزل قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٤) فعن ابن أبي نجيح[2]، عن أبيه، أن رجلًا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه، فقال له: يا فلان! أشعرت أن مُحَمَّدا ﷺ قد قُتل؟ فقال الأنصاري: إن كان مُحَمَّد قد قتل فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم فنزل: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ الآية[3].

---

(١) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٤٩٤.

(٢) هو الصحابي عبد الله بن أبي نجيح، واسم أبي نجيح يسار، وهو مولى لثقيف، توفي سنة ١٠٩هـ، ينظر: ابن سعد، أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعد بن منيع الهاشمي، **الطبقات الكبرى**، ت: مُحَمَّد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ج٦، ص٢٥.

(٣) أخرجه **البيهقي في دلائل النبوة**، جماع أبواب غزوة أحد، باب تحريض النبي ﷺ أصحابه على القتال يوم أحد وثبوت من عصمه الله عز وجل، ج٣، ص٢٤٨، والحديث مرسل كما قال علوي السقاف في كتابه: **تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن**، ج١، ص٩٠، رقم (١٧١).

وقال ابن كثير في سبب نزول هذه الآية: "لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد، وقُتِل من قتل منهم، نادى الشيطان: ألا إن محمدًا قد قُتِل، ورجع ابن قميئة إلى المشركين، فقال لهم: قتلتُ محمدًا، وإنما كان قد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فشجه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، واعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتِل، وجَوّزوا عليه ذلك، كما قد قصَّ الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام، فحصل ضعف ووهن وتأخّر عن القتال، ففي ذلك أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ الآية"[1].

وكان من أبرز الأخطاء التي وقع فيها بعض الصحابة يوم أحد؛ أنهم ربطوا إيمانهم ودعوتهم إلى الله لإعلاء كلمته بشخص رسول الله ﷺ، فهذا الربط بين عقيدة الإيمان بالله، وبين بقاء شخص النبي ﷺ خالدًا فيهم، خالطه الحب المشوب بالعاطفة، فقد ربطوا بين الرسالة الخالدة وبين الرسول ﷺ البشر الذي يلحقه الموت، فأنزل الله عز وجل لهم الآية السابقة، يعاتبهم، ويبيّن لهم قاعدة أساسية من قواعد الدين، أن الارتباط يكون بالدين لا بالشخص.

يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: "ثم قال لأصحاب مُحَمَّد ﷺ، معاتبَهم على ما كان منهم من الهلع والجزع حين قيل لهم بأحُد: إنّ محمدًا قُتل، ومُقبّحًا إليهم انصرافَ من انصرفَ منهم عن عدوهم وانهزامه عنهم: أفإن مات مُحَمَّد، أيها القوم، لانقضاء مدة أجله، أو قتله عدو ﴿ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾، يعني: ارتددتم عن دينكم الذي بعث الله محمدًا ﷺ بالدعاء إليه، ورجعتم عنه كفارًا بالله بعد الإيمان به، وبعد ما قد وَضَحت لكم صحةُ ما دعاكم مُحَمَّد ﷺ إليه، وحقيقةُ ما جاءكم به من عند ربه ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ يعني بذلك: ومن يرتدد منكم عن دينه ويرجع كافرًا بعد إيمانه ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٢٨.

﴿شَيْـًٔا﴾ يقول: فلن يوهِن ذلك عزة الله ولا سلطانه، ولا يدخل بذلك نقصٌ في ملكه، بل نفسه يضر بردَّته، وحظَّ نفسه ينقص بكفره"[1].

والآية الكريمة فيها تصوير بلاغي؛ حيث" شبّه سبحانه الرّجوع عن الدّين في الارتياب، بالرّجوع على الأعقاب"[2]، وهو مشهد في غاية السوء، نسأل الله السلامة.

المطلب السادس: الفرار من المعركة

إن من شؤم المعاصي أنها تجر بعضها بعضًا، فكل معصيةٍ تجرُّ أختها، فالمعاصي كما قال بعض السلف: "إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها"[3]، فحين ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول ﷺ أن لا يبرحوه، وعصوا أمره، تنازعوا واختلفوا، ووقع في قلوبهم حب الدنيا، لحقهم شؤم المعصية، وانقلبت موازين المعركة، وكان وبال معصيتهم عليهم وعلى سائر الجيش، فُهزِموا بعد أن كان النصر لهم في بداية المعركة، ثم وقعوا في معصية أخرى، وهي الفرار من المعركة، والفرار من الزحف كبيرة من الكبائر العظام[4]، لما فيه من الخذلان البيّن والخطر العظيم على الإسلام والمسلمين، وقد ذكر الله عز وجل ذلك في سورة آل عمران، قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٣)

---

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٧، ص٢٥١-٢٥٢.

(٢) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق، دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٤١٨هـ).

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٤٦.

(٤) عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب الوصايا، باب قوله تعالى: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما، إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا} (سورة النساء: ١٠).

أي: صرفكم عنهم إذ تصعدون أي في الجبل هاربين من أعدائكم، وأنتم لا تلوون على أحد من الدهش والخوف والرعب، ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ أي: وهو قد خلفتموه وراء ظهوركم، يدعوكم إلى ترك الفرار من الأعداء، وإلى الرجعة والعودة والكَرَّة، قال السدي: "لما شدّ المشركون على المسلمين بأحد فهزموهم دخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم إلى الجبل فوق الصخرة فقاموا عليها، فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس: "إليّ عباد الله، إليّ عباد الله" فذكر الله صعودهم إلى الجبل، ثم ذكر دعاء النبي ﷺ إياهم، فقال: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾"[1] وهذه الجمل التي تضمنت التوبيخ والعتب الشديد، إذ هو تذكار بفرار من فرّ وبالغ في الهرب، ورسول الله صلى الله عليه وسلّم يدعوه إليه، فمن شدّة الفرار واشتغاله بنفسه وهو يروم نجاتها، لم يُصغِ إلى دعاء الرسول، وهذا من أعظم العتب حيث فرّ، والحالة أن رسول الله يدعوه إليه"[2].

وقد وردت قراءتان في قوله تعالى: (تصعدون)، "فقرأه عامة قرأة الحجاز والعراق والشام سوى الحسن البصري: (إِذْ تُصْعِدُونَ) بضم التاء وكسر العين. وروي عن الحسن البصري أنه كان يقرأه: (إِذْ تَصْعَدُونَ)، بفتح التاء والعين"[3].

"فأما الذين قرأوا: (تُصْعِدُون) بضم التاء وكسر العين، فإنهم وجّهوا معنى ذلك إلى أنّ القوم حين انهزموا عن عدوّهم، أخذوا في الوادي هاربين. قالوا: فالهرب في مستوى الأرض وبطون الأودية والشعاب: (إصعاد)، لا صعود، وإنما يكون (الصعود) على الجبال

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٣٧.

(٢) أبوحيان، **البحر المحيط**، ج٣، ص٣٨٤.

(٣) المهدوي، أبو العباس أحمد بن عمار، **التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل**، ت: دار الكمال المتحدة (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م) ج٢، ص١٣٧، بتصرف يسير.

والسلالم والدَّرج؛ لأن معنى الصعود: الارتقاء والارتفاع على الشيء عُلوًا. قالوا: فأما الأخذ في مستوى الأرض والهبوط، فإنما هو(إصعاد)"[١].

قال القرطبي: "فالإصعاد: السير في مستو من الأرض وبطون الأودية والشعاب، والصعود: الارتفاع على الجبال والسطوح والسلاليم والدرج. فيحتمل أن يكون صعودهم في الجبل بعد إصعادهم في الوادي، فيصح المعنى على قراءة "تُصعِدون" و"تَصعَدون" فكلتا القراءتين صواب، كان يومئذ من المنهزمين مصعد وصاعد"[٢].

وكلام القرطبي يتوافق مع ما قاله الطبري، وبمثل ذلك قال الآلوسي أيضًا، وضعّف قول من قال أنه لا فرق بين أصعد وصعد سوى أن الهمزة في الأول للدخول نحو أصبح إذا دخل في الصباح، وذكر أن الأكثرين على القول الأول[٣].

وكلام الطبري والقرطبي والآلوسي في القراءتين لا يعني أن كل الصحابة قد فروا من المعركة، فقد روت لنا كتب السِّيَر نماذج لبطولات فذَّة، تُعَدُّ كل واحدة منها مثلًا عاليًا في الجهاد والتضحية في غزوة أحد، فقد ثبت عدد مِن الصحابة في ميدان المعركة، كطلحة بن عبيد الله، وأبي قتادة، وسعد بن أبي وقاص، وأبي دجانة، وأنس بن النضر، ونسيبة بنت كعب، ضاربين أروع الأمثلة في ميدان البطولة والاستشهاد؛ حفاظًا على الدعوة وصاحبها عليه الصلاة والسلام[٤].

وأخلص مما سبق إلى أن سورة آل عمران قد ذكرت من أخطاء الجماعة المؤمنة ما يأتي:

١. الاختلاف والتنازع

---

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٧، ص٢٩٩-٣٠٢، بتصرف.

(٢) القرطبي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م) ج٤، ص٢٣٩.

(٣) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج٢، ص٣٠٣.

(٤) ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، ص٨٠- ٨٣.

٢. مخالفة أمر النبي ﷺ
٣. الاعتداد بالرأي
٤. إرادة الدنيا
٥. التعلق بشخص النبي ﷺ
٦. الفرار من المعركة

وفي الفصل الثاني إن شاء الله سأبين منهج السورة في علاجها.

الفصل الثاني
منهج سورة آل عمران في علاج أخطاء الجماعة المؤمنة

المبحث الأول: نبذ الفرقة والتنازع بين المؤمنين

المبحث الثاني: الحث على طاعة الرسول ﷺ والتحذير من مخالفته

المبحث الثالث: تأكيد مبدأ الشورى

المبحث الرابع: لفت النظر إلى إرادة الآخرة دون إهدار للدنيا

المبحث الخامس: مقاومة نزعة التعلق بالأشخاص

المبحث السادس: الحث على الثبات عند لقاء العدو

الفصل الثاني
منهج سورة آل عمران في علاج أخطاء الجماعة المؤمنة

إن معالجة الأخطاء منهج رباني مقرّر في كتاب الله عز وجل، وسنة المصطفى ﷺ، فكتاب ربنا عز وجل مليء بالأوامر الربانية المصحِّحة لأخطاء البشر، وإن فقه علاج الخطأ بالطريقة الشرعية مُؤذِن بتقليل تلك الأخطاء وعدم تكرارها، وفي المقابل فإن الخطأ في علاج الخطأ ربما أدى إلى الوقوع في خطأ أشد أو أسوء لا يسلم منه المخطئ ومن يعالج الخطأ.

وإنّ من أهم الحِكَم في نزول القرآن الكريم منجّمًا على جيل التنزيل؛ أن يصحح أخطاءهم، ويغيّر سلوكهم، ويوجّههم إلى ما فيه صلاحهم، فقد وضَعَ الحلول للأخطاء، وعالجها من جذورها، حتى كان له الأثر العظيم في التغيير في حياة الفرد والمجتمع.

وبعد أن عرضت في الفصل الأول أخطاء الصحابة في غزوة أحد، سأذكر في هذا الفصل – إن شاء الله – منهج القرآن الكريم في علاجها؛ لنستفيد من هذا المنهج الربّاني، في معالجة أخطاء الواقع، على بصيرة، وهذا المنهج يتضح في التالي:

- نبذ الفرقة والتنازع بين المؤمنين
- الحث على طاعة الرسول ﷺ والتحذير من مخالفته
- تأكيد مبدأ الشورى
- لفت النظر إلى إرادة الآخرة دون إهدار للدنيا
- مقاومة نزعة التعلق بالأشخاص
- الحث على الثبات عند لقاء العدو

المبحث الأول
نبذ الفرقة والتنازع بين المؤمنين

إذا كانت سورة آل عمران قد رصدت خطأ الجماعة المؤمنة المتمثّل في الاختلاف والتنازع، فإنها قد عُنيت بعلاجه أيضًا، وذلك على النحو الآتي:

التحذير من الفرقة والتنازع

حذّر الله عز وجل المسلمين من الفرقة والتنازع، فما يتنازع الناس إلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجّه الآراء والأفكار، فإذا استسلم الناس لله ورسوله، انتفى السبب الأول الرئيس للنزاع بينهم، فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر؛ إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يُصِرّ عليها، حتى عندما يتبين له وجه الحق فيها، وإنما هو وضع الذات في كفة، والحق في كفة، وترجيح الذات على الحق ابتداء[1].

ونهى الله عز وجل المؤمنين في سورة آل عمران أن يكونوا كالذين تفرقوا من الأمم قبلهم، وأن يعتبروا بسنته في الأمم الماضية؛ حتى لا يصيبهم ما أصابهم من العذاب، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٥) "كأنه سبحانه يقول: يا أيها المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم، عليكم بالدخول في السلم والاتفاق، والاعتصام بالإسلام في جملته، لا تفرقوه ولا تتفرقوا فيه وتكونوا شيعًا؛ كي لا يصيبكم ما أصاب أولئك الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات من قبلكم، وهؤلاء بنو إسرائيل بين أيديكم وحالهم لا يخفى عليكم، فسلوهم حالهم، واستنطقوا آثارهم، واقرءوا تاريخهم، تروا أنهم أوتوا نحوًا مما أوتيتم من البينات، وأُمِروا كما أمرتم بالاتحاد والاجتماع، فتفرقوا إلى مذاهب وشيع، وزلّوا عن صراط الله، فتفرقت بهم السبل، فأخذهم الله بعزته، ونفذ فيهم حكم سنته، وزال

(١) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص٢٩١٥.

سلطانهم، ولفظتهم أوطانهم، وضُرِبت عليهم الذلة والمسكنة، ومُزّقوا في الأرض كل ممزق"[1].

١. حث المؤمنين على الاعتصام بالكتاب والسنة

مدح الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ الاجتماع والائتلاف وتنمية روح الأخوّة بين المسلمين؛ فالاجتماع قوّة، وهو سبب كل خير، وما اعتصمت أمة بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ إلا نجّاها الله تعالى، ورفعها على غيرها من الأمم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣). أي: وتعلقوا بأسباب الله جميعًا، وتمسَّكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عَهده إليكم في كتابه إليكم، من الأُلفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله، فقد كره الله لكم الفرقة وحذركموها ونهاكم عنها، ورضي لكم السمع والطاعة والألفة والجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضي الله تعالى لكم[2].

فهذه الأخوّة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتنّ الله بها على الجماعة المسلمة الأولى، وهي نعمة يهبها الله تعالى لمن يحبهم من عباده إلى قيام الساعة، وهو هنا يذكِّرهم هذه النعمة، يذكِّرهم كيف كانوا قبل الإسلام أعداءً، فألّف بين قلوبهم، وأمّنهم بعد خوف، ويسَّر لهم إقامة دولة لهم على أرض المدينة بعد أن كانوا قلة مستضعفين.

ولذلك عاتب الله عز وجل الرماة عندما تنازعوا واختلفوا في غزوة أحد، وبيّن لهم عاقبة التنازع والاختلاف، وحثّهم على الاجتماع والأُلفة، والاعتصام بالكتاب والسنة؛ لأنه

---

(١) رضا، **تفسير المنار**، ج٢، ص٢١٥.

(٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٧، ص٧٠.

كان يُعدّهم لحمل راية هذا الدين، الذي لايقوم إلا على الاجتماع والاعتصام بحبل الله المتين.

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تنهى عن الفرقة والتنازع، وتحث على الاجتماع والألفة، فقد أمر الله تعالى به الأنبياء والمرسلين، كما أمر به خاتم المرسلين، ﷺ فقال سبحانه: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ (سورة الشورى: ١٣). قال ابن كثير: "أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله"(١). وقد علّل ابن عاشور ما قاله ابن كثير رحمه الله، فقال: "ولا تتفرقوا في إقامته بأن ينشط بعضهم لإقامته ويتخاذل البعض، إذ بدون الاتفاق على إقامة الدّين يضطرب أمره؛ ووجه ذلك: أن تأثير النفوس إذا اتفقت يَتوارد على قصد واحد، فيقوَى ذلك التأثير، ويُسرع في حصول الأثر؛ إذ يصير كل فرد من الأمة مُعِينًا للآخر، فيسهل مقصدهم من إقامة دينهم، أما إذا حصل التفرق والاختلاف؛ فذلك مُفضٍ إلى ضياع أمور الدّين في خلال ذلك الاختلاف، ثم هو لا يلبث أن يُلقِيَ بالأمة إلى العداوة بينها، وقد يجرّهم إلى أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر"(٢).

وقد بيّن لنا الله عز وجل أن الفرقة هي السبب المباشر في هلاك الأمة، فقال عز وجل: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ﴾ (سورة الأنعام: ٦٥). والمعنى: "أو يخلطكم أهواء مختلفة وأحزابًا

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٣٦٥.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص٥٤.

مفترقة، أو يجعلكم متلبسين شيعًا فرقًا متخالفين"[1]، ولذلك مهما اختلف المسلمون وحصل بينهم تنازع إلا وحل فيهم الفشل، والعصر الحاضر أكبر دليل على ذلك.

والنهي عن التنازع والاختلاف يقتضي الأمر باجتماع الكلمة، ووحدة الصف، فإذا ارتفعَت أصواتُ التنازُع، وبرزَت مظاهرُ الفُرقة في ديار المسلمين؛ وجبَ عليهم التحاكُمُ إلى كتاب ربِّهم وسُنَّة نبيّهم ﷺ، ووجبَ على علمائِهم وعُقلائِهم السعي لتوحيد الصفّ، وجمع الكلمة، ونبذ الهوَى والتعصُّب.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ (سورة النساء: ٥٩) قال الإمام البغوي: "﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى كتاب الله وإلى رسوله ﷺ ما دام حيًا، وبعد وفاته إلى سُنّته، والرُّد إلى الكتاب والسنة واجبٌ إن وُجد فيهما، فإن لم يُوجد فسبيله الاجتهاد"[2]، والاجتهاد لا يكون بغير علم، فليس لأيّ أحد أن يجتهد في معرفة الأحكام؛ بل يسأل أهل العلم الذين هم أهل لذلك. وفي هذا المعنى يقول القرطبي: "أمر تعالى بردِّ المتنازَع فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وليس لغير العلماء معرفة كيفية الردّ إلى الكتاب والسنة، ويدلّ هذا على صحة كون سؤال العلماء واجبًا، وامتثال فتواهم لازمًا"[3].

---

(١) الطبري، **جامع البيان في تفسير آي القرآن**، ج١١، ص٤١٩ / ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٢٧٧، بتصرف.

(٢) البغوي، **معالم التنزيل**، ج٢، ص٢٤٢.

(٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٥، ص٢٦٠.

المبحث الثاني
الحث على طاعة الرسول ﷺ والتحذير من مخالفته

إن من رحمة الله تعالى بعباده أن دلَّهم على الطريق إليه، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، وأوجب على العباد طاعتهم؛ فهم وسائط بين الله تعالى وبين عباده، يتلقّون وحيه، ويبلّغون رسالاته، وقد بيَّن القرآن الكريم أنَّه ما من رسولٍ أُرسل إلا لِيُطاع ويُتَّبع، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ (سورة النساء: ٦٤) والمعنى: "ولم نرسل، رسولًا إلا فرضتُ طاعته على من أرسلته إليه، فأنت يا مُحَمَّد، من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من أرسلتُه إليه"(١).

وقد اصطفى الله عز وجل رسوله مُحَمَّدا ﷺ بنبوته واختصه برسالته، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، وأمره باتباع ما أُوحي إليه، وتبليغه للناس، وأمرنا بطاعته، وجعلها فرضًا لازمًا لكل من آمن به، ونهانا وحذّرنا من مخالفته؛ لما لها من العاقبة السيِّئة في الدُّنيا والآخِرة، "فأما طاعة الله ورسوله فتشمل اتباع سائر أحكام القتال المشروعة بالتعيين، مثل: الغنائم، وكذلك ما يأمرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم من آراء الحرب، وتشمل طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام طاعة أُمرائِه في حياته، وتشمل طاعة أمراء الجيوش بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لمساواتهم لأمرائه الغائبين عنه في الغزوات والسرايا في حكم الغيبة عن شخصه ﷺ"(٢). وقد ظهرت أهمية هذا المبدأ في غزوة أحد، فالنبي ﷺ أخذ يؤكد هذا الأمر على الرماة بعدّة أساليب، ولكنهم خالفوا هذا الأمر المهم، فتغيّر مسار المعركة، بعد أن كان النصر حليفهم في بدايتها، و"إن مخالفة الأوامر في أُحد درس لا يُنسى

---

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٨، ص٥١٥.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٠، ص٣٠، بتصرف يسير.

عن نتائج كل مخالفة عسكرية للأوامر في الحرب، وإن نتائجها المعروفة كافية لغرس هذا الدرس في النفوس"[1].

وقد استفاضت آيات الكتاب العزيز في بيان أهمية طاعة الرسول ﷺ والتأكيد على وجوبها وفرضيتها، وأستطيع تلخيص ماورد في هذه السورة على النحو الآتي:

١. طاعته ﷺ سبب في حُب الله تعالى للعبد، ومغفرة ذنوبه

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران: ٣١) ومعنى الآية: "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله، فإن ما جئت به من عنده، مبين لصفاته وأوامره ونواهيه، والمحب حريص على معرفة ما يُؤمر به ويُنهى عنه؛ ليتقرب إليه بمعرفة قدره وامتثال أمره، مع اجتناب نهيه، ويكون بذلك أهلًا لمحبته سبحانه ومستحقًا لأن يغفر له ذنوبه"[2].

وقد جعل الله عز وجل طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله، ومبايعته مبايعة له، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ (سورة الفتح: ١٠) وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (سورة النساء:٨٠) فمن يطع منكم، أيها الناس، محمدًا صلى الله عليه وسلم فقد أطاعني بطاعته إياه، فاسمعوا قوله وأطيعوا أمرَه، فإنه مهما يأمركم به من شيء فمن أمري يأمركم، وما نهاكم عنه من شيء فمن نهيي، فلا يقولنَّ أحدكم "إنما مُحَمَّد بشر مثلنا يريد أن يتفضَّل علينا"[3].

---

(١) باشميل، مُحَمَّد أحمد، **موسوعة الغزوات الكبرى –غزوة أحد–** (القاهرة: المكتبة السلفية، ط٥، ١٤٠٦هـ) ص١٦.

(٢) رضا، **تفسير المنار**، ج٣، ص٢٣٤.

(٣) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٨، ص٥٦١.

قال الشوكاني في تفسير هذه الآية: "فيه أن طاعة الرسول طاعة لله، وفي هذا من النداء بشرف رسول الله ﷺ وعلو شانه وارتفاع مرتبته ما لا يُقَادَرُ قَدْرُه ولا يبلغ مداه، ووجهه أن الرسول لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه"(١). ولن ينجو العبد عند ربه إلا باتباع النبي ﷺ، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»(٢).

٢. طاعته ﷺ سبب في الرحمة

وقد جعل الله عز وجل طاعة العباد لرسوله ﷺ سببًا في حصول رحمة الله لهم، قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ **وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ** ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٢) والمعنى: "لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ في الأرض من الفساد والانحدار والخوف والقلق والضلال، وفي الآخرة من الغضب والعذاب والنكال"(٣)، "فمن أراد الرحمة، فهذا طريقها، ومن رجاها من دون إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول، فقد منّته نفسه الأماني الكاذبة"(٤). كما جعل سبحانه وتعالى طاعة رسوله ﷺ سببًا في الهداية، قال تعالى: ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ** ﴾ (سورة النور:٥٤) "وكان بعض السلف يقول: مَنْ أمَّر السُّنَّة على نفسه قولًا وفعلًا، نطق بالحكمة، ومن أمّر البدعة والهوى على نفسه قولًا وفعلًا، نطق بالبدعة؛ لقوله تعالى: ﴿**وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ**﴾"(٥).

---

(١) الشوكاني، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله، **فتح القدير** (دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤١٤هـ) ج١، ص٦٥٦.

(٢) أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ، ج٩، ص٩٢، رقم (٧٢٨٠).

(٣) قطب، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٥٣٠.

(٤) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ج١، ص٥٣٧، بتصرف يسير.

(٥) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج٣، ص٣٠٣.

ولاسعادة للعباد ولا نجاة لهم في المعاد إلا باتباع الرسول ﷺ وطاعته، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (سورة النساء: ١٣) "فمن يطع الله ورسوله في جميع الأوامر والنواهي، ﴿يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، وذلك إشارة إلى دخول الجنات الموصوفة بما ذُكِر على وجه الخلود، وفيه إيذان بكمال علو درجته، وفوزه الفوز العظيم الذى لا وصف وراءه، وهو الظفر بالخير العظيم"[1].

(١) أبو السعود، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت) ج٢، ص١٥٤، بتصرف يسير.

المبحث الثالث
تأكيد مبدأ الشورى

تُعدّ الشورى إحدى أهم القيم الإنسانية والاجتماعية التي اهتم بها الإسلام، فمنذ بداية الدعوة الإسلامية، والمسلمون في مكة أفراد مضطهدون مطاردون، أنشأ القرآن منهم مجتمعًا متعاونًا متكافلًا، تضم أفرادَه روابطُ الأخوة والتضامن، وهي: الإيمان بالله وعبادته سبحانه بإقامة الصلاة، والتعاون بتبادل المشورة، والتكافل في الإنفاق، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (سورة الشورى: ٣٨) "ومع أن هذه الآيات مكية، نزلت قبل قيام الدولة المسلمة في المدينة، فإننا نجد فيها أن من صفة هذه الجماعة المسلمة: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ مما يوحي بأن وضع الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظامًا سياسيًا للدولة، فهو طابع أساسي للجماعة كلها، يقوم عليه أمرها كجماعة، ثم يتسرب من الجماعة إلى الدولة، بوصفها إفرازًا طبيعيًّا للجماعة"[(١)] .

فالإسلام ليس حصرًا على الصلاة والزكاة وإن كانتا من أركانه؛ لأن من استجاب لله وجب عليه أن يتخذ الشورى منهجًا، وبهذا يتضح أن الإسلام ليس فيه سلطة قاهرة تكبت الحريات، وإنما هو دين يدعو إلى الشورى والنظر المشترك في كل ما يهم أمور الأمة الإسلامية، فالشورى قاعدة من قواعد الشريعة وخُلُق من أخلاق المؤمنين، ونظام الشورى هو أفضل نظام يمنع من التسلط والاستبداد، ويبعث على المحبة والتوادّ، ولهذا امتدح الله المؤمنين الذين جعلوا المشورة قانونًا لهم في أعمالهم كما هو صريح الآية السابقة.

وفي غزوة أحد عندما رأى بعض الرماة الغنائم بعد انتصار المسلمين في بداية المعركة، تركوا أماكنهم، دون أن يأخذوا برأي قائدهم الذي رأى خلاف ذلك، على الرغم

---

(١) قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٣١٦٠.

من أنهم كانوا في موقف يرتبط بمصلحة المسلمين جميعًا؛ إلا أنهم نزلوا من الجبل اعتدادًا برأيهم، فكانت الهزيمة للمسلمين جميعًا.

وقد جاء الأمر بالشورى في سورة آل عمران، في قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٩) ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾ أي: استخرج آراءهم واعلم ما عندهم، تأكيدًا لمبدأ الشورى[١]، وقد جاء هذا النص عقب وقوع نتائج للشورى تبدو في ظاهرها خطيرة مريرة، فقد رأت مجموعة أن يبقى المسلمون في المدينة محتمين بها، وتحمست مجموعة أخرى فرأت الخروج للقاء المشركين، ولم يكن رسول الله ﷺ يجهل النتائج الخطيرة التي تنتظر الصف المسلم من جراء الخروج، فقد كان لديه الإرهاص من رؤياه الصادقة التي رآها والتي يعرف مدى صدقها، وقد تأوّلها قتيلًا من أهل بيته وقتلى من صحابته، وتأوّل المدينة درعًا حصينة[٢]، وكان من حقه أن يُلغي ما استقر عليه الأمر نتيجة للشورى، ولكنه أمضاها وهو يدرك ما وراءها من الآلام والخسائر والتضحيات؛ لأن إقرار المبدأ وتعليم الجماعة وتربية الأمة أكبر من الخسائر الوقتية.

ولقد كان من حق القيادة النبوية أن تنبذ مبدأ الشورى كله بعد المعركة، أمام ما أحدثته من انقسام في الصفوف في أحرج الظروف؛ وأمام النتائج المريرة التي انتهت إليها المعركة، ولكن الإسلام كان ينشىء أمة ويربيها ويعدها لقيادة البشرية، وكان الله يعلم أن خير وسيلة لتربية الأمم وإعدادها للقيادة الرشيدة أن تُربى بالشورى؛ وأن تُدرب على حمل التبعة وأن تخطىء؛ لتعرف كيف تصحح خطأها وكيف تحتمل تبعات رأيها وتصرفها، فهي لا تتعلم الصواب إلا إذا زاولت الخطأ، والخسائر لا تهم إذا كانت الحصيلة هي إنشاء الأمة المدرّبة المدركة المقدرة للتبعة، كان الإسلام ينشىء أمة ويربيها ويعدها للقيادة الراشدة، فلم

---

(١) ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج٢، ص١٢٤.

(٢) ينظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، ص٦٢_٦٣.

يكن بد أن يحقق لهذه الأمة رشدها ويرفع عنها الوصاية في حركات حياتها العملية الواقعية كي تدرب عليها في حياة الرسول ﷺ وبإشرافه[1].

وقد تعددت آراء المفسرين في المعنى الذي من أجله أمر الله عز وجل نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم، ويمكن إجمال هذه الآراء فيما يلي:

أ- تطييب لنفوسهم؛ ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه.

ب- حتى يرفع من مقدارهم بصفاء قلبه لهم، حيث أهّلهم للمشاورة، وجعلهم خواص بعد ما صدر منهم.

ت- ليقتدي به غيره في المشاورة ويصير سنة في أمته.

ث- الاستظهار برأيهم فيما لم ينزل فيه وحي.

ج- في الاستشارة تنوّر الأفكار، بسبب إعمالها فيما وُضِعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول[2].

وكل هذا حسن وليس هناك ما يمنع من الجمع بين هذه العلل والغايات.

وقد ذكر القرطبي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٩) أن الله أمر نبيه ﷺ بهذه الأوامر التي هي تدريج بليغ، وذلك أنه أمره بأن يعفو عنهم فيما له في خاصته عليهم من تبعه، فلما صاروا في هذه الدرجة أمره أن يستغفر لهم فيما لله عليهم من تبعة أيضًا، فإذا صاروا في هذه الدرجة صاروا أهلًا للاستشارة في

(١) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٥٠٢.

(٢) ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٣، ص٤٠٨ / ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٤٩/ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٩، ص٤١٠/ السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص١٥٤.

الأمور[1]، وقال ابن عطية في تفسير هذه الآية: "والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب"[2].

وكما يريد الإسلام للأمة كجماعة مؤمنة أن تكون قاعدة الحكم فيها بالشورى، فإنه أراد للبنة المجتمع الأساس – الأسرة – أن تتخذ الشورى منهجًا، قال تعالى: ﴿**فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا**﴾ (سورة البقرة: ٢٣٣) "عطف التشاور على التراضي؛ تعليمًا للزوجين شؤون تدبير العائلة، فإن التشاور يُظهِر الصواب ويحصل به التراضي"[3]. قال ابن كثير: "فيؤخذ منه أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي، ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر"[4].

فإن كان الله سبحانه وتعالى قد أمرنا رحمة بالطفل أن تتشاور الأم مع الأب قبل أن يقررا فصله عن الرضاعة، فكيف وأمر الحكومة وفيها مصير الأمة بأسرها، فرحمة بالأمة أمَر اللهُ سبحانه وتعالى الحكام بأن يشاوروا الرعية، ولا رشد ولا صلاح للأمة دون التمسك بهذا المنهاج، "فلتحصين النشء من ضرر الاستبداد، يجب علينا أن نتخذ الشورى منهجًا، وأن نُعلّمها كما نعلم الصلاة والزكاة، وأن تتبنى ذلك البيت والمدرسة والمسجد، فالمسئولية هي مسئولية الجميع، ولا يمكن تربية الفرد المسلم تربية سياسية إسلامية صحيحة، ولن يكون مواطنًا صالحًا ما لم يكن قد تعلّم الشورى في بيته ومدرسته

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٤، ص ٢٤٩، بتصرف.

(٢) ابن عطية، أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت: عبدالسلام عبد الشافي مُحَمَّد (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ) ، ج١، ص٥٣٤.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢، ص٤٣٨.

(٤) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٦٣٥.

ومسجده، فلا ينبغي للمؤمن أن يهمل الشورى، أو يعرض عن تعلمها، فهي جزء من عقيدة الإيمان، وجزء من حياة الإنسان العملية التي يعيشها كل يوم"[1].

وأستطيع أن أستخلص مما سبق ما يأتي:

١. أن الشورى إحدى أهم القيم الإنسانية والاجتماعية التي اهتم بها الإسلام، منذ بداية الدعوة الإسلامية.

٢. أن الإسلام دين الحنيفية السمحة، ليس فيه سلطة قاهرة تكبت الحريات، وإنما هو دين يدعو إلى الشورى والنظر المشترك في كل ما يهم أمور الأمة الإسلامية.

٣. أن خير وسيلة لتربية الأمم وإعدادها للقيادة الرشيدة أن تربى بالشورى، حتى وإن كانت نتائجها في بعض الأحيان مريرة، لكن على الأمة الإسلامية عدم التخلّي عنها.

٤. حرص الإسلام على معالجة أخطاء الجماعة المسلمة، وتربيتهم تربية يقودون بها الأمم.

---

(١) ينظر: المهدي، القاضي حسين بن مُحَمَّد، **الشورى في الشريعة الإسلامية** (وزارة الثقافة، مكتبة المحامي، د.ط، ٢٠٠٦م) ص٢٥٤- ٢٥٥.

المبحث الرابع
لفت النظر إلى إرادة الآخرة دون إهدار للدنيا

إن من الأمور التي جُبل عليها الناس ما جاء في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (سورة آل عمران: ١٤)، ففي هذه الآية أخبر تعالى أنه زين للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة؛ لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها، فلما زُيّنت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات، تعلقت بها نفوسهم، ومالت إليها قلوبهم، وانقسموا بحسب الواقع إلى قسمين:

القسم الأول: جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله، فهؤلاء كانت سببًا لهم إلى دار الشقاء والعناء والعذاب.

القسم الثاني: عرفوا المقصود منها، وأن الله جعلها ابتلاءً وامتحانًا لعباده، ليعلم من يُقدّم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته، فجعلوها زادًا لهم وطريقًا يتزودون منها لآخرتهم، فصحبوها بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم، فجعلوها مَعْبرًا إلى الدار الآخرة، فهؤلاء صارت لهم زادًا إلى ربهم.

وفي هذه الآية تحذير للمغترين بها، وتزهيد لأهل العقول النيّرة منها، وتمام ذلك أن الله تعالى أخبر بعدها عن دار القرار ومصير المتقين الأبرار، وأخبر أنها خير من ذلكم المذكور، ألا وهي الجنات العاليات ذات الغرف العالية، والأشجار المتنوعة، والأنهار الجارية

على حسب مرادهم، والأزواج المطهرة، مع الخلود الدائم الذي به تمام النعيم، مع الرضوان من الله الذي هو أكبر نعيم[1].

وقد دعا الله سبحانه وتعالى الناس إلى عدم الوقوف عند الدنيا، وطلب منهم تجاوزها إلى ما هو خير وأشمل، وأدوم وأبقى، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (سورة الكهف: ٤٦). فالدنيا جميلة، ولكنها إلى زوال، والحياة الحقيقية هي في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٤)، أي لهي دار الحياة الحقيقية؛ لامتناع طريان الموت والفناء عليها، أو هي في ذاتها حياة؛ــ للمبالغة ــ والحيوان: مصدر حي، سُمّي به ذو الحياة، فلو كانوا يعلمون ذلك لما آثروا عليها الدنيا التي أصلها عدم الحياة، ثم ما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال[2].

وقد وردت أحاديث كثيرة في بيان الدنيا وحقيقتها، والتحذير من الاغترار بها، منها قوله ﷺ: « فَوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ »[3].

وقد يتسلل حب الدنيا إلى قلب العبد دون أن يشعر بذلك، كما ذكر الله عز وجل ذلك في هذه السورة ــ آل عمران ــ، أن بعض الصحابة أراد الدنيا، وهم الرماة

---

(١) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص١٢٣.

(٢) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٧، ص٤٧.

(٣) أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، ج٤، ص٩٦، رقم (٣١٥٨). وأخرجه **مسلم** في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، ج٤، ص٢٢٧٣، رقم (٢٩٦١).

الذين تركوا أماكنهم طلبًا للغنيمة، قال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٢) فجاءت هذه السورة الكريمة تعالج هذا الخطأ الذي وقعوا فيه، ويتجلى هذا العلاج في النقاط الآتية:

١. إطلاع المخطئ على السبب الذي جعله يرتكب الخطأ حتى يجتنبه ولا يقع فيه مرة أخرى، وذلك بكشف الحقيقة، ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٢).

٢. الحرص على كشف حقيقة الدنيا وتصغير شأنها، والتحذير من الاغترار بها، وأن متاعها زائل، ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (سورة آل عمران: ١٤).

٣. تذكيرهم بما أعدّ الله لهم من نعيم مقيم في الدار الآخرة، ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ (سورة آل عمران: ١٤).

٤. توضيح الهدف من خلق الإنسان في الحياة في الدنيا.

٥. استخدام أسلوب الترغيب والترهيب.

قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٥) "تصغيرًا لشأن الدنيا، وتحقيرًا لأمرها، وأنها دنيئة فانية، قليلة زائلة"[١]. قال الطبري: "وما لذّات الدنيا وشهواتها وما فيها من زينتها وزخارفها، إلا متعة يمتعكموها الغرور، والخداع المضمحلّ الذي لا حقيقة له عند الامتحان، ولا صحة له عند الاختبار، فأنتم تلتذون بما متعكم الغرور من دنياكم، ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكاره، يقول تعالى ذكره: ولا تركنوا إلى الدنيا فتسكنوا إليها، فإنما أنتم منها في غرور تمتَّعون، ثم أنتم عنها بعد

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٧٨.

قليل راحلون"[1]. وقد أنزل الله عز وجل في نفس السورة أيضًا آية بيّن لهم فيها أن من أراد الدنيا وعمل لها فسيؤتيه منها، ومن أراد الآخرة فسيؤتيه منها كذلك، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ (سورة آل عمران: ١٤٥) قال البغوي: "نزلت في الذين تركوا المركز يوم أُحد طلبا للغنيمة"[2]، ومعنى الآية: من يرد منكم، أيها المؤمنون، بعمله جزاءً منه بعضَ أعراض الدنيا، دون ما عند الله من الكرامة لمن ابتغى بعمله ما عنده نُعطِهِ منها، فيعطيه منها ما قُسم له فيها من رزق أيام حياته، ثم لا نَصيبَ له في كرامة الله التي أعدها لمن أطاعه، وطلب ما عنده في الآخرة، ومن يُرد منكم بعمله ما عند الله من كرامته التي أعدها للعاملين له في الآخرة، نُعطِهِ من كرامة الله التي خصَّ بها أهلَ طاعته في الآخرة[3].

وهكذا نرى أن الله عز وجل بيّن لهم الداء، ثم وصف لهم الدواء، وهذا من أهم أسباب الشفاء؛ فطبيعة الإنسان العاقل حبّ التخلّص من الأمراض، فبعد هذا التوجيه والتربية الربّانية علِم الصحابة ﷺ أن إرادة الدنيا والتعلق بها، من أهم أسباب تأخر النصر عن المسلمين، وتسلط الأعداء عليهم، فزهدوا فيها، ولم يجعلوها شاغلة لهم عن القضية التي لأجلها خُلقوا، وأقبلوا على الآخرة، فضربوا لنا أروع الأمثلة في الزهد، فهاهم الصحابة ﷺ يمكثون مع رسول الله ﷺ ثلاثًا وهم يحفرون الخندق ما ذاقوا طعامًا[4]، وبذلوا أموالهم في سبيل الله عز وجل، وكان ذلك أحبَّ إليهم من الإنفاق على أنفسهم، ولا يخفى علينا حديث عثمان بن عفان ﷺ يوم أن جهّز جيش العسرة، ومسابقة عمر بن الخطاب لأبي بكر ﷺ في الصدقة، وقصة أبي الدحداح الذي باع بستانه بنخلة في الجنة، وغير ذلك من

---

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٧، ص٤٥٢-٤٥٣.

(٢) البغوي، **معالم التنزيل**، ج٢، ص١١٥.

(٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٧، ص٢٦٢- ٢٦٣.

(٤) ينظر: ابن السري، أبو السَّرِي هَنَّاد بن السَّرِي بن مصعب بن أبي بكر بن شبر، **الزهد**، ت: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي (الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ) ج٢، ص٣٨٥.

مواقف الصحابة ﷺ في الإنفاق والإطعام في سبيل الله بأجوَد أموالهم[1]وقد كانوا يُؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وقد شهد لهم الله عز وجل بذلك، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (سورة الحشر: ٩). وقد وعدهم الله بخير من هذه الدنيا، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ (سورة آل عمران: ١٤) أي: "حسن المرجع والثواب"[2].

ويحسن هنا التنبيه على قاعدة عظيمة من قواعد الدين الإسلامي، وهي التوازن في الأمور كلها، بلا إفراط ولا تفريط، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ (سورة القصص: ٧٧)، "أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، فآت كل ذي حق حقه"[3].

وهذه القاعدة القرآنية المحكمة جاءت في أثناء الحديث عن قصة قارون، الذي غرّه ماله، وغرته نفسه الأمارة بالسوء، وهي ميزان عظيم في التعامل مع المال، له ولكل من جاء بعده، ومن هذه الآية يتبين لنا بوضوح أن الله تعالى-الحكيم الخبير- ما ترك قضية يحتاجها الناس إلا وبينها لهم في كتابه، وسنة رسوله ﷺ، وقد وقع خلل عند بعض الصحابة على عهد رسول الله ﷺ في فهم حقيقة الزهد في الدنيا، كما روى لنا الإمام البخاري رحمه الله « عن أنسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ

---

(١) ينظر: الكاندهلوي، مُحَمَّد يوسف بن مُحَمَّد إلياس، **حياة الصحابة**، ت: بشار عوّاد معروف (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) ج٢، ص٣٨٧.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٢٢.

(٣) ابن كثير، **المرجع السابق**، ج٦، ص٢٥٣- ٢٥٤، وهو جزء من حديث سلمان ﷺ: «إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ» أخرجه **الترمذي** في السنن، أبواب الزهد، ج٤، ص٦٠٩، رقم (٢٤١٣). وصححه الألباني في **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج٥، ص٤١٣، رقم (٢٤١٣).

أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

وبهذا المنهج المتوازن كان أئمة الإسلام، يردّون على ما أحدثه بعض الزهّاد والعُبّاد من ألوان من التزهد التي تجافي هذا الهدي النبوي العظيم.

(١) أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ج٧، ص٢، رقم (٥٠٦٣).

المبحث الخامس
مقاومة نزعة التعلق بالأشخاص

لقد كانت إشاعة قتل النبي ﷺ والمفاجأة التي حصلت في أُحد هزّة عظيمة للمسلمين، فقد فرّ بعضهم من المعركة، والبعض الآخر جلسوا يائسين، فألقوا سلاحهم وقالوا لماذا نقاتل وقد مات رسول الله ﷺ؟ وهؤلاء الذين ألقوا سلاحهم هم الذين أحبوا رسول الله ﷺ وتعلّقت قلوبهم به، والمحبة أمر طبيعي يحدث في قلوب المدعوّين لشخصية الداعية الناجح؛ فكل مَن آمن بنبيٍّ واتبعه أحبه، وأعظم من أحبه أصحابه هو رسول الله ﷺ؛ فقد ضرب الصحابة الكرام رضي الله عنهم أروع الأمثلة فى محبتهم للنبى ﷺ، وتوقيره، وطاعته، وامتثال أمره، وموالاة من والاه، ومعاداة من عاداه، حتى لو كان أحب الناس إليهم، وعظموا سنته ﷺ، وذبّوا عنها، وفدَوه بأرواحهم وأموالهم، وليس في هذه المحبة ضرر، إنما الضرر والخطر يكون في التعلق بشخص الرسول ﷺ، وليس بالقرآن الذي نزل عليه، والرسالة التي أُمِر بحملها وتبليغها، ودعوة الخلق إليها، وقد قرّر القرآن الكريم هذه الحقيقة، وهي أهمية التعلّق بالعقيدة والمبدأ وليس بالأشخاص، فأنزل الله عز وجل في سورة آل عمران آية تُتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ** ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٤)، قال ابن كثير في سبب نزول هذه الآية: "لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد، وقُتِل من قُتِل منهم، نادى الشيطان: ألا إن محمدًا قد قُتِل، ورجع ابن قميئة إلى المشركين، فقال لهم: قتلتُ محمدًا، وإنما كان قد ضَربَ رسول الله ﷺ فشجّه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، واعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قُتِل، وجَوّزوا عليه ذلك، كما قد قصَّ الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام، فحصل ضعف ووهن وتأخّر عن القتال، ففي ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ**

ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾، قال ابن أبي نجيح عن أبيه: أن رجلًا من المهاجرين مرَّ على رجل من الأنصار وهو يتشحّط في دمه فقال له: يا فلان أشعرت أن محمدًا ﷺ قد قُتِل؟ فقال الأنصاري: إن كان مُحَمَّد قد قُتِل فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم، فنزل: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾"[1]، ومعنى الآية: "وما مُحَمَّد إلا رسول كبعض رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه، داعيًا إلى الله وإلى طاعته، الذين حين انقضت آجالهم ماتوا وقبضهم الله إليه، ثم قال لأصحاب مُحَمَّد ﷺ، معاتبًا لهم على ما كان منهم من الهلع والجزع حين قيل لهم بأحُد: (إنّ محمدًا قُتِل)، ومُقبّحًا إليهم انصرافَ من انصرفَ منهم عن عدوهم وانهزامه عنهم: أفإن مات مُحَمَّد، أيها القوم، لانقضاء مدة أجله، أو قتله عدو، ارتددتم عن دينكم الذي بعث الله محمدًا بالدعاء إليه، ورجعتم كفارًا بالله بعد الإيمان به، بعد ما قد وَضَحت لكم حقيقةُ ما جاءكم به من عند ربه؟ ومن يرتدد منكم عن دينه ويرجع كافرًا بعد إيمانه، فلن يُوهِن ذلك عزّة الله ولا سلطانه، ولا يدخل بذلك نقصٌ في ملكه، بل يضر نفسه بِرِدَّتِهِ"[2].

وقال الشوكاني رحمه الله في تفسير هذه الآية " أي: كيف ترتدّون وتتركون دينه إذا مات أو قُتل، مع علمكم أن الرسل تخلو ويتمسك أتباعهم بدينهم وإن فُقِدوا بموت أو قتل؟"[3]، وهذه إضافة مهمة فسورة آل عمران توجهنا إلى التعلق بالفكرة، لا بالأفراد والأشخاص، فالدعاة يأتون ويذهبون، وتبقى الدعوة إلى الله على مرّ العصور.

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٢٨.

(٢) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٧، ص٢٥١_٢٥٢، بتصرف.

(٣) الشوكاني، **فتح القدير**، ج١، ص٤٤٢.

وقال السعدي رحمه الله معلّقًا على تفسير هذه الآية: "وفي هذه الآية الكريمة إرشاد من الله تعالى لعباده، أن يكونوا بحالة لا يزعزعهم عن إيمانهم أو عن بعض لوازمه فقدُ رئيس ولو عَظُم، وما ذاك إلا بالاستعداد في كل أمر من أمور الدين بعدّة أناس من أهل الكفاءة فيه، إذا فُقِد أحدهم قام به غيره، وأن يكون عموم المؤمنين قصدهم إقامة دين الله، والجهاد عنه، بحسب الإمكان، لا يكون لهم قصد في رئيس دون رئيس، فبهذه الحال يستتبّ لهم أمرهم، وتستقيم أمورهم"(١).

فلا بدّ أن نقدّر الأمور بقدرها الشرعي، ونضبطها بالميزان الإلهي؛ فلا نغلو في الأشخاص كما نحفظ لهم حقوقهم، فنحن لانزِنُ الحق بالرجال؛ ولكن نزِنُ الرجال بالحق، وقد جاءت هذه الحادثة لإعداد الجماعة المسلمة لِتلقِّي الصدمة الكبرى حين تقع، والصدمة الكبرى هي وفاة رسول الله ﷺ، فبيّن القرآن أن الصلة تكون بالله عز وجل لا بغيره.

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه زاد المعاد: "أن وقعة أحد كانت مقدمةً وإرهاصًا بين يدي موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فثبّتهم ووبّخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قُتِل، بل الواجب له عليهم أن يثبتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه، أو يُقتلوا، فإنهم إنما يعبدون رب مُحَمَّد ﷺ، وهو حيّ لا يموت، فلو مات مُحَمَّد ﷺ أو قُتِل لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينه وما جاء به، فكل نفس ذائقة الموت، وما بُعِث مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم لِيُخلَّد لا هو ولا هم، بل ليموتوا على الإسلام والتوحيد"(٢).(٣)

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص١٥٠.

(٢) ابن القيم، مُحَمَّد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، **زاد المعاد في هدي خير العباد** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢٧، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م) ج٣، ص٢٠١.

(٣) بالفعل فقد كان لهذه الآية أثر كبير على الصحابة بعد موت رسول الله ﷺ، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن أبا بكر رضي الله عنه خرج وعمر رضي الله عنه يكلم الناس، فقال: اجلس فأبى، فقال

قال القرطبي رحمه الله: " فهذه الآية من تتمة العتاب مع المنهزمين، أي لم يكن لهم الانهزام وإن قُتِل مُحَمَّد، والنبوة لا تدرأ الموت، والأديان لا تزول بموت الأنبياء"[1].

وقد أنزل الله هذه الآية لتصحّح معتقدًا، وتوضّح تصورًا، وإعدادًا ليوم لا يثبت له إلا أمثال أبي بكر الصديق ﷺ ــ وهو الذي حدث بالفعل بعد ثمانية أعوام من نزول هذه الآية ــ .

وبالنظر إلى لفظ الآية وسبب نزولها نجد أنها جاءت لتبيّن المنزلة الصحيحة للنبي ﷺ من غير إفراط ولا تفريط، وأن محبته والتعلق به ينبغي ألا تتجاوز الحدّ المسموح به شرعًا، وألاّ تصل بالمحبين والمتعلقين به أن يتركوا دينَهم أو التزامَهم بمجرد موته أو قتله ﷺ.

"وكأنما أراد الله سبحانه بهذه الحادثة وبهذه الآية أن يفطم المسلمين عن تعلقهم الشديد بشخص النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي بينهم، وأن يصلهم مباشرة بالنبع، النبع الذي لم يفجره مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم ولكن جاء فقط ليومىء إليه ويدعو البشر إلى فيضه المتدفق، كما أومأ إليه من قبله من الرسل ودعوا القافلة إلى الارتواء منه!

وكأنما أراد الله سبحانه أن يأخذ بأيديهم فيصلها مباشرة بالعروة الوثقى، العروة التي لم يعقدها مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم؛ إنما جاء ليعقد بها أيدي البشر، ثم يدعهم عليها ويمضي وهم بها مستمسكون!

وكأنما أراد الله سبحانه أن يجعل ارتباط المسلمين بالإسلام مباشرة، وأن يجعل عهدهم مع الله مباشرة، وأن يجعل مسؤوليتهم في هذا العهد أمام الله بلا وسيط، حتى

=اجلس فأبى، فتشهد أبو بكر رضي الله عنه فمال إليه الناس وتركوا عمر، فقال: "أما بعد فمن كان منكم يعبد مُحَمَّدا صلى الله عليه وسلم فإن مُحَمَّدا صلى الله عليه وسلم قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى ﴿وما مُحَمَّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ إلى قوله: ﴿الشاكرين﴾ والله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزلها حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه فتلقاها منه الناس فما يسمع بشر إلا يتلوها». أخرجه **البخاري**، كتاب الجنائز، باب الأمرباتباع الجنائز، رقم (١٢٤٢).

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٤، ص٢٢٢.

يستشعروا تبعتهم المباشرة التي لا يخليهم منها أن يموت الرسول صلى الله عليه وسلم أو يقتل، فهم إنما بايعوا الله، وهم أمام الله مسؤولون"[1].

وقد استفاد الصحابة من هذا المنهج الربّاني، وعلّقوا قلوبهم بالله عز وجل، واستمروا على الثبات على دينه، والجهاد في سبيله؛ لنشر هذا الدين حتى بعد موت رسول الله ﷺ، وربّوا غيرهم على ذلك، فهذا عمر بن الخطاب ﷺ عزل خالد بن الوليد بغير عجز ولا خيانة، وقال: "والله لأعزلن خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة؛ ليعلما أن الله إنما ينصر دينه لا إياهما"[2]أي بغير خالد وحارثة، فلا تتعلق القلوب بهما.

وأخلص مما سبق إلى أن منهج سورة آل عمران في علاج التعلق بشخص النبي ﷺ كان كالآتي:

١. تذكير الصحابة ﷺ بأن محمدًا ﷺ رسول كبقية الرسل، جاء ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويأخذ بأيديهم إلى العروة الوثقى، ثم يدعهم عليها ويمضي.

٢. ربط الصحابة بالله عز وجل، والتعلق بدينه وليس بالأشخاص ولو كانوا من المرسلين.

٣. بيان أثر داء الغلو بشخص الرسول ﷺ، ومن أخطرها: الانقلاب على الأعقاب بالارتداد عن الدين.

---

(١) قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٤٨٦.

(٢) الحميري، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي، **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ) ج٢، ص٢٥٠.

المبحث السادس
الحث على الثبات عند لقاء العدو

ذكرنا في الفصل السابق أن بعض الصحابة فروا من المعركة في غزوة أحد، فنزل فيهم قول الله عز وجل: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٣)، وقد تضمّنت هذه الآية عتابًا لهم على فرارهم، فعلى الرغم من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكرر لهم النداء، إلا أنهم لم يستجيبوا لذلك. ولما كان هذا الفرار ذنبًا ومعصية، أراد الله عز وجل أن يربي هذه الجماعة المؤمنة على الخير، حتى ولو كان في تربيتهم بعض الشدة عليهم؛ لأنهم حملة الشريعة بعد رسول الله ﷺ إلى الأمة، فقد جازاهم الله على معصيتهم غمًا متصلًا بغم، قال تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٣) أي فجزاكم غمًا على غم، وقد ذكر ابن كثير رحمه الله عدّة أقوال في ذلك، منها: "قول ابن عباس رضي الله عنهما: أن الغم الأول بسبب الهزيمة، وحين قيل قتل مُحَمَّد ﷺ، والثاني حين علاهم المشركون فوق الجبل، وعن عبد الرحمن بن عوف أن الغم الأول: بسبب الهزيمة، والثاني حين قيل: قُتِل مُحَمَّد ﷺ، كان ذلك عندهم أعظم من الهزيمة، وقال مجاهد وقتادة: الغم الأول: سماعهم قتل مُحَمَّد، والثاني: ما أصابهم من القتل والجراح"[(١)].

وجميع هذه الأقوال قريبة من بعض، فكل هذه غموم أصابت المسلمين يوم أحد، وأرى أن قول من قال أن الغم الأول: بسبب الهزيمة، والثاني: حين قيل: قُتِل مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم هو الأولى، لما يأتي:

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٤٣، بتصرف.

١. لأنه مطابق للواقع، فقد حصل غم الهزيمة وفوات الغنيمة أولًا، ثم غم إشاعة مقتل النبي ﷺ.

٢. لأن ذلك كان عندهم أعظم من هم الهزيمة.

٣. لأنهم لما علموا أنه حي يرزق كأنه لم يصبهم شيء، يؤكد ذلك ماذكره ابن اسحاق عن المرأة الدينارية، فعن سعد بن أبي وقاص[١] رضي الله عنه، قال: مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نعوا لها، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟ قال: فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل! تريد صغيرة[٢].

فمما لاشك فيه أن التجربة التي مرّت بهم، وهذا الألم الذي أصاب نبيهم- وهو أشق عليهم من كل ما نزل بهم- وذلك الغم الذي أصابهم، كل ذلك سيصغر في نفوسهم كلّ ما يفوتهم من عَرَض وكل ما يصيبهم من مشقة[٣].

وتتجلى السمة التربوية للجماعة المؤمنة في أن الله عزوجل قد أشعرهم بأن ما أقدموا عليه من المخالفة مكشوف ومعلوم، فالله عز وجل مطّلع على تصرفات عباده، ما يخفون منها وما يعلنون، ولا تخفى عليه خافية، وفي ذلك تنبيه لهم من معاودة مثل هذا التصرف فيما بعد، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، أي: "عليم بأعمالكم وبما قصدتم بها"[٤].

---

(١) سعد بْن أَبِي وقاص: هو سعد بن مالك القرشي، واسم أَبِي وقاص مالك بْن وهيب، أسلم قبل أن تفرض الصلاة، وهو أحد الذين شهد لهم رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة. ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٢، ص٤٥٢.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، ص٩٩.

(٣) قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٤٩٥.

(٤) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص٤٣.

ثم ذكر الله عز وجل سبب فرارهم من المعركة، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٥)، أي: بِبعضِ مَا كسبُواْ من الذنوب والمعاصي التي هي مخالفةُ أمرِ النبيّ صلَّى الله عليهِ وسلم، وترك المركزِ، والحِرص على الغنيمة أو الحياةِ، فحُرِموا التأييد، وقيل استزلالُ الشيطانِ تولّيهم، وذلك بذنوب تقدمت لهم؛ فإن المعاصيَ يجُرّ بعضُها إلى بعض كالطاعة، وقيل استزلّهم بذنوب سبَقتْ منهم وكرِهوا القتالَ قبل إخلاصِ التوبةِ والخروجِ من المظلِمة[1].

وأرى أن القول الأول هو الراجح، وهو أن المراد بالذنوب التي اكتسبوها في المعركة وليست الذنوب المتقدمة؛ لأن هذا لايتوافق مع تحقق النصر في أول المعركة، واجتهد بعض المفسرين في تسويغ فرار الصحابة من المعركة فقال أنهم لم يتولوا على جهة المعاندة، ولا على الفرار من الزحف رغبة في الدنيا؛ وإنما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا لقاء الله إلا على حالة يرضاها[2].

ويتضح لنا من تفسير الآية السابقة أن الله عز وجل بيّن لهم السبب الذي جعلهم يفرون من المعركة، وأنه يرجع إلى ما كسبت أيديهم وما اقترفوه من الذنوب، التي جعلت الشيطان يسوّل لهم ذلك حتى أوقعهم في الزّلة، والهفوة، وقد استزلّهم فزلّوا، **وذِكْر السبب في وقوع الخطأ من أهم أسباب العلاج.**

ولأن كل إنسان معرّض للوقوع في الخطأ والمعصية فإن الله تعالى فتح لكل أحد باب التوبة والمغفرة إذا طلبها وحرص عليها، والله سبحانه يعلم ما جُبِل عليه الإنسان من الضعف وعدم العصمة من الخطأ، فنظر إلى المخطئين من صحابة رسول الله ﷺ في هذه

---

(١) ينظر: أبوالسعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٢، ص١٠٣/ البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص٤٤/ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٩، ص٣٩٧-٣٩٨.

(٢) ينظر: الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج١، ص٣١١.

المعركة فأقال عثرتهم وعفا عن زلتهم، وتجاوز عنهم، وعالج خطأهم وصحّحه، ثم أكرمهم بالعفو والصفح والمغفرة؛ لأنهم كانوا أهلا لذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٥).

وضرب الله لهم مثلًا بإخوانهم المجاهدين السابقين، وهم جماعة كثيرة، ساروا وراء أنبيائهم في درب الجهاد في سبيل الله، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا عن الجهاد بعد الذي أصابهم منه، وما استكانوا للعدو، بل ظلوا صابرين ثابتين في جهادهم، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ (سورة آل عمران: ١٤٦-١٤٨)

"وقد عاتب الله بهذه الآيات والتي قبلها من انهزم يوم أحد، وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن مُحَمَّدا قد قتل، فعذلهم الله على فرارهم وتركهم القتال، فقال لهم أفإن مات أو قتل أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم وانقلبتم على أعقابكم؟"[1]، وفي هذا تعريض بالمسلمين الذين أصابهم الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله ﷺ، وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم، وضرب الله مثلًا للمؤمنين لتثبيتهم بأولئك الربانيين وبما قالوه: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وهذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى نفوسهم -مع كونهم ربانيين- هضم لها واعتراف منهم بالتقصير، ودعاؤهم بالاستغفار من ذنوبهم مقدم على طلبهم تثبيت أقدامهم أمام العدو؛ ليكون طلبهم إلى ربهم النصر عن

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٣٠، بتصرف يسير.

زكاة وطهارة وخضوع، وفي هذا تعليم للمسلمين إلى أهمية التضرع، والاستغفار وتحقيق التوبة، وتظهر أهمية ذلك في إنزال النصر على الأعداء ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي وبذلك نالوا ثواب الدارين: النصر والغنيمة في الدنيا، والثواب الحسن في الآخرة، جزاء إحسانهم في أدب الدعاء والتوجه إلى الله، وإحسانهم في موقف الجهاد، وكانوا بذلك مثلًا يضربه الله للمسلمين المجاهدين، وخص الله تعالى ثواب الآخرة بالحسن؛ دلالة على فضله وتقدمه على ثواب الدنيا، وأنه هو المعتمد عنده(١).

ومما سبق يمكننا استنباط منهج السورة في تصحيح خطأ الفارين من المعركة في غزوة أحد، وهذا العلاج يتضمن الآتي:

١. تحذير المؤمنين من الفرار من المعركة، وأن ذلك يُعَدّ عصيانًا وذنبًا عظيمًا.

٢. توجيه العتاب للمخطئ وبيان محل الخطأ.

٣. توجيه المخطئ إلى ما ينفعه، وتربيته على الحرص على الصواب في تصرفه، ولو أدى ذلك إلى الشدّة في التعامل معه.

٤. إشعار المخطئ والمذنب بأن ما أقدم عليه من المخالفة معلوم، وما أحدثه من تصرف مكشوف ومعلوم.

٥. العفو عن المذنب والمخطئ إن كان أهلًا لذلك.

٦. ضرب المثل بالسابقين الأولين.

---

(١) ينظر: زيدان، عبدالكريم بهيج العاني، **المستفاد من قصص القرآن** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) ج٢، ص٢٠٤.

الفصل الثالث
توظيف منهجية سورة آل عمران في علاج الأخطاء في الواقع المعاصر

المبحث الأول: العلاج على المستوى الفكري

- المطلب الأول: توضيح الخطأ
- المطلب الثاني: تصحيح التصورات
- المطلب الثالث: وضوح الهدف
- المطلب الرابع: ضرب المثل

المبحث الثاني: العلاج على المستوى النفسي والشعوري

- المطلب الأول: الترغيب والترهيب
- المطلب الثاني: العتاب
- المطلب الثالث: العفو والصفح
- المطلب الرابع: رفع الروح المعنوية بعد الهزيمة
- المطلب الخامس: الصبر على البلاء
- المطلب السادس: الدعوة إلى التوبة

المبحث الثالث: العلاج على صعيد الأمة والمجتمع

- المطلب الأول: استيعاب المخطئ
- المطلب الثاني: مراعاة الموقف وأحوال بعض المخطئين
- المطلب الثالث: تأديب المخطئ

تمهيد

إن مما يدخل الحزن على القلوب ما نشاهده في هذا العصر من البعد عن كتاب الله عز وجل، والناظر في الواقع يلمسُ بشكلٍ واضح تلك الآثار السلبية التي تعرضت لها الشعوب، نتيجة لإعراضها عن كتاب ربها، وتنحيتِه عن واقع حياتها، ولن يخلّص البشرية من أزمتها، إلا المنهج الرباني، الذي أنزله الله ليقوم الناس بالقسط، والمنهج الرباني هو الذي يُصلح الحياة البشرية والنفس البشرية؛ لأنه منزل من عند اللطيف الخبير الذي يعلم مَن خلق، ويعلم ما يُصلِحه وما يَصلُح له، ومنزل من عند من يحيط علمه بكل شيء فلا تخفى عليه خافية، ولا يغفل عن أثر تصرف قد يقع اليوم، ولكن أثره لا يظهر إلا بعد فترة من الزمن، لا يستوعبها عمر الفرد، ومنزل من عند الحكم العدل، الذي لا تميل بعدله الأهواء، فضلًا عن أنه هو الله الذي يحق له وحده أن يقرر منهج الحياة للإنسان؛ لأنه هو خالقه وخالق هذا الكون كله، فبما أنه صاحب الخلق، فهو صاحب الأمر: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٥٤)[١].

فالقرآن كتاب الله الخالد الذي تكفّل بجميع ما يحتاج إليه البشر في أمور دينهم ودنياهم، وهو كتاب شامل لأمور الحياة، وهو منهج متكامل، متفرع الجوانب، اشتمل على كل جوانب إصلاح الفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ (سورة النحل: ٨٩). "أَيْ: لكلِّ شيء يُحتاج إليه من أمر الدِّين"[٢]، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ (سورة الأنعام: ٣٨) أي "ما فرطنا فيه من شيء فيه

---

(١) ينظر: قطب، مُحَمَّد إبراهيم حسن شاذلي، **واقعنا المعاصر** (القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ص١٨.

(٢) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت: صفوان عدنان داوودي (دمشق، بيروت: دار القلم ، الدار الشامية، ط١، ١٤١٥هـ) ج١، ص٣٥٢.

هدايتكم، والبيان لكم"[1]، فالقرآن الكريم شامل لكلِّ مناحي الحياة الإنسانيَّة؛ فهو كتاب الدِّين كلِّه، وهو الكتاب الذي خاطب الله تعالى به البشرية جميعًا إلى يوم القيامة بلا تقيّد بزمان أو مكان، فهو كتاب يخاطب جميع العقول، لا في عصر النزول فقط، بل هو لجميع العصور، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ (سورة الأنعام: ١٩) "أي: أوحى الله إلي هذا القرآن الذي تلوته عليكم؛ لأجل أن أنذركم به، وأنذر به من بلغ إليه، أي: كل من بلغ إليه من موجود ومعدوم سيوجد في الأزمنة المستقبلة، وفي هذه الآية من الدلالة على شمول أحكام القرآن لمن سيوجد، كشمولها لمن قد كان موجودًا وقت النزول"[2]. وبما أن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية نزولًا، فلا بد أن يلبّي حاجات البشرية، ويحقق مصالحها، وأن يكون صالحًا لكل زمان ومكان.

يقول مُحَمَّد عبد الله دراز: "وهكذا نجد كتابًا مفتوحًا مع الزمان يأخذ كلٌّ منه ما يُسّر له؛ بل ترى محيطًا مترامي الأطراف لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال"[3].

ولهذا فقد تكفّل الله بحفظ كتابه المنزل، بينما ضاعت الكتب السابقة وحُرّفت، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (سورة الحجر: ٩)، كما تكفل سبحانه بحفظ سنة نبيه ﷺ، بينما لم يبق من سنن الأنبياء السابقين إلا ما حفظه القرآن وحفظته سنة رسول الله ﷺ، وفي هذين المصدرين كل المواد اللازمة لبناء الفرد المسلم، والجماعة المسلمة، والأمة المسلمة، والدولة المسلمة في أي عصر من عصور التاريخ، يرغب المسلمون في البناء، ويعزمون علي بذل الجهد اللازم له[4].

---

(١) ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص٢٦١.

(٢) الشوكاني، **فتح القدير**، ج٢، ص١٢٠.

(٣) دراز، مُحَمَّد بن عبد الله، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم** (دار القلم للنشر والتوزيع، د.ط، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) ص١٥٢.

(٤) ينظر: قطب، **واقعنا المعاصر**، ص٢٥.

وفي هذا الفصل إن شاء الله سأتحدّث عن كيفيّة توظيف منهج القرآن الكريم المستفاد من سورة آل عمران في تصحيح أخطاء الواقع المعاصر.

المبحث الأول
العلاج على المستوى الفكري

المطلب الأول: توضيح الخطأ

المطلب الثاني: تصحيح التصورات

المطلب الثالث: وضوح الهدف

المطلب الرابع: ضرب المثل

المبحث الأول
العلاج على المستوى الفكري

يتجلى العلاج على المستوى الفكري في تتبع الخطأ وتوضيحه، ثم في تصحيح التصورات، وتحديد الأهداف، مع الاستعانة بضرب الأمثال، وبيان ذلك في أربعة مطالب:

المطلب الأول: توضيح الخطأ

توضيح الخطأ أمر مهم في علاج المخطئ؛ لأن مِن الناس مَن يكون ارتكابه للخطأ ناتجًا عن جهل، أو عن غفلة، وقد يكون ناتجًا عن شبهة، أوغير ذلك.

وليس الغرض من توضيح الخطأ هو التشهير بأصحابه؛ بل هو توضيح للحق، فالإنسان مهما بلغ من درجات التقوى والصلاح لابد أن يمر بلحظات ضعف بشري يخطئ فيها، والأصل إعذار الناس ورحمتهم، ومدّ يد العون لهم، وهذا يقتضي توضيح الخطأ برفق، والصبر على المخطئ، ومناقشته فيما فعل، وأن تكون الغاية هي صلاح المخطئ، واستقامة حاله، وإنقاذه مما هو فيه.

ولابدّ من الإشارة إلى أن التطبيق العملي لهذا المنهج يعتمد على الاجتهاد بدرجة كبيرة، وذلك في انتقاء الأسلوب الأمثل في الظرف والحدث الحاصل، والرفق بالمخطئ، وأن يكون توضيح الخطأ بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا ينسَ الإخلاص في العمل في ذلك كله لله عز وجل، ونحن في هذا الوقت في أمسِّ الحاجة إلى ذلك؛ لتحسين سلوكيات أفراد المجتمع، والنهوض بهم.

ويمكن القول إن توضيح الخطأ منهج رباني، فقد نزل القرآن الكريم يُوضّح ويُصحّح أخطاء المجتمع، بمن فيهم رسول الله ﷺ، فقد عاتبه الله عز وجل في سورة عبس، وفي شأن الأسرى يوم بدر، وفي غير ذلك، وكان القرآن يتنزل ببيان خطأ أفعال بعض الصحابة في عدد من المواقف، منها ما وقع فيه الرماة يوم أحد، فقد بيّن الله عز وجل لهم

خطأهم حتى لا يقعوا فيه مرة أخرى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورةآل عمران: ١٥٢)، ومنها موقف حاطب ابن أبي بلتعة ﷺ، حين أخطأ في مراسلة كفار قريش، مُعلِمًا لهم وجهة النبي ﷺ إليهم في الغزو، فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (سورة الممتحنة: ١)[1].

وتوضيح الخطأ إما أن يكون بالحديث المباشر الصريح أن هذا الأمر المعيّن خطأ، وأن الشخص الذي قام بذلك العمل قد أخطأ، أو بالإيماء والإشارة إليه، وقد كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك أحيانًا، كما جاء في حديث عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: أَتَتْهَا بَرِيرَةُ تَسْأَلُهَا فِي كِتَابَتِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتُ أَهْلَكِ وَيَكُونُ الوَلاَءُ لِي، وَقَالَ أَهْلُهَا: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتِهَا مَا بَقِيَ – وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: إِنْ شِئْتِ أَعْتَقْتِهَا، وَيَكُونُ الوَلاَءُ لَنَا – فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَّرَتْهُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ابْتَاعِيهَا فَأَعْتِقِيهَا، فَإِنَّ الوَلاَءَ لِمَنْ أَعْتَقَ» ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المِنْبَرِ – وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المِنْبَرِ – فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٢٣، ص٣١٢.

يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا، لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ مَرَّةٍ»[1].

والملاحظ من هذا الحديث أن النبي ﷺ استخدم أسلوبًا غير مباشر، وإن مثل هذه الأساليب غير المباشرة تترك أثرها في النفس، فهي توصل الرسالة التي يريدها المربي، وتُنقِذ المواجَه بالخطأ من الحرج والخجل، وتشعره بحسن الخلق والتقدير والتوقير.

المطلب الثاني: تصحيح التصورات

إن تصرف الإنسان الطبيعي في حياته بشتى مجالاتها ومواقفها يكون مبنيًا على جملة من التصورات والمفاهيم والمعلومات، وعلى قدر ما يكون تصوره أو مفهومه عن قضية ما، أو علمه بشيء ما، يكون تصرفه وفعله وعمله. واستقامة الجوراح في تصرفاتها إنما هي تابعة لاستقامة القلب في عقيدته ومعلوماته ومفاهيمه، وكم من موقف وحادثة وقعت، وكم من حرمة انتُهِكت، بسبب فساد التصور الذي ترتب عليه بالتبعية فساد التصرف، وبالتالي فالإنسان بحاجة إلى من يرشده إلى الصواب ويدله عليه.

والقرآن الكريم "لا يدع جانبًا من الجوانب، ولا خاطرة من الخواطر، ولا تصورًا من التصورات، ولا استجابة من الاستجابات، حتى يوجه إليها الأنظار، ويسلِّط عليها الأنوار، ويكشف عن المخبوء منها في دروب النفس البشرية ومنحنياتها الكثيرة، ويوقف النفس تجاهها مكشوفة عارية؛ وبذلك يمحّص الدخائل وينظفها ويطهرها في وضَحِ النور؛ ويصحح المشاعر والتصورات والقيم، ويقرّ المبادىء التي يريد أن يقوم عليها التصور الإسلامي المتين، وأن تقوم عليها الحياة الإسلامية المستقرة"[2].

---

(١) أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد، ج١، ص٩٨، رقم (٤٥٦).

(٢) قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٥٣٢.

وفي أعقاب غزوة أحد نزل قوله عز وجل: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٤) وذلك لتصحيح معتقد، وتوضيح تصور، وقع فيه بعض الصحابة ﷺ، حين تركوا القتال في المعركة، متأثرين بشائعة مقتل النبي ﷺ.

وعند النظر إلى لفظ الآية وسبب نزولها، نجد أنها جاءت لتبيّن المنزلة الصحيحة للنبي ﷺ من غير إفراط ولا تفريط، فقد ذكر الله عز وجل الرسول ﷺ في هذه الآية باسمه "مُحَمَّد"، في حين أن في كثير من الآيات جاء ذكره بالاسم في مقام التشريف؛ حتى يبيّن لنا الله عز وجل أن محبته والتعلق به ﷺ ينبغي ألا تتجاوز الحد المسموح به شرعًا، وأن الزيادة فيها عيب كالنقصان منها، وألّا تصل بالمحبين والمتعلقين به أن يتركوا دينَهم أو التزامَهم بمجرد موته أو قتله ﷺ.

فإذا كان هذا بالنسبة للنبي الأكرم ﷺ، والنعمة المهداة، فكيف بمن دونه من الدعاة والعلماء؟

إن مشكلة كثير من المسلمين اليوم أنهم يتعلقون بالأشخاص على حساب المنهج، وهذا التعلق مذمومٌ لأسباب كثيرة؛ فقد يترك مَن تعلّق قلبه بشخص معيّن الالتزام بالكلية بعد موته أو سفره، وقد يصل به هذا التعلق إلى حد التعظيم والعياذ بالله، وقد يترك العمل لهذا الدين ببعده عنه، أو يرائي لأجله، وغير ذلك من المفاسد التي ينتج عنها مجتمعٌ هشٌ، فالذين استقاموا على الشريعة لهم مكانة عظيمة في نفوسنا، ولكن تلك المكانة لا تحملنا على ترك الحق لأجلهم، أو العمل لأجلهم.

وقد كان النبي ﷺ يوجّه الصحابة ويحضّهم ويعلّقهم بمنهج الله الذي هو الكتاب والسنة، ولم يكن يعلقهم بشخصه وذاته، وينبغي على المربّين والدعاة تصحيح التصوّر لدى الأشخاص الذين تقع عليهم التربية؛ بربطهم مباشرة بالمنهج القرآني، وتصحيح عقيدتهم،

وتذكيرهم بالإخلاص في كل عمل يُقدمون عليه، وذلك لكون الأعمال مهما عظمت وكثرت فلا خير فيها إن لم تكن خالصة لوجه الله الكريم، والنية تحتل مركزًا مرموقًا في التصور الإسلامي الصحيح، وهي مُنطَلَقُ الفعل، بل هي التي تصنعه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ (سورة التوبة: ٤٦)، **فلا بد من التذكير بالإخلاص؛ ليكون نقطة الانطلاق عند كل عمل؛ حتى يتوجه الفرد الوجهة الصحيحة، فيكون عمله كله لله وحده، وقلبه معلّق بالله وحده.**

ومن الأمور التي بينها القرآن الكريم، ودعانا إلى معرفة حقيقتها هي (الدنيا) فالدنيا بما تحتويه من فتن ومال وشهوات عائق من العوائق التي تعوق المسلم عن فعل الطاعات، وتصدّ عنها، فهي رأس الفتنة، وباب كل شر، واقتضت حكمة الله عز وجل أن يجعل الدنيا محلًا للاختبار، ودارًا للامتحان.

وتحدّث القرآن الكريم في كثير من الآيات عن قصر الدنيا وسرعة انقضائها، وبيّن حقيقتها، وغرور ما فيها من المتاع، حتى لا تكون عائقًا عن العمل الصالح، ومانعًا من السير إلى جنات النعيم.

وفي سورة آل عمران ذكّر الله عز وجل الرماة الذين تركوا أماكنهم؛ طلبًا للغنيمة أن السبب في ذلك هو إرادة الدنيا، فكشف لهم هذه الحقيقة، وحذّرهم من الدنيا، ووصفها بأنها متاع الغرور، وهذا هو المنهج الرباني الذي تكرّر في كل القرآن "وفي مجال التربية للجماعة المسلمة، يكشف لها عن البواعث الفطرية الخفية التي من عندها يبدأ الانحراف، إذا لم تُضبط باليقظة الدائمة، وإذا لم تتطلع النفس إلى آفاق أعلى، وإذا لم تتعلق بما عند الله، وهو خير وأزكى.

إن الاستغراق في شهوات الدنيا، ورغائب النفوس، ودوافع الميول الفطرية، هو الذي يُشغِل القلب عن التبصّر والاعتبار؛ ويدفع بالناس إلى الغرق في لُجة اللذائذ القريبة

المحسوسة؛ ويحجب عنهم ما هو أرفع وأعلى؛ ويُغلِظ الحس، فيحرمه متعة التطلع إلى ما وراء اللذة القريبة؛ ومتعة الاهتمامات الكبيرة اللائقة بدور الإنسان العظيم في هذه الأرض؛ واللائقة كذلك بمخلوق يستخلفه الله في هذا الملك العريض"[1].

ولقد ربى رسول الله ﷺ صحابته على ذلك، وحذّرهم من الاغترار بالدنيا، وجعل قلوبهم معلقة بالآخرة، حتى تخرَّجت على يديه تلك الصفوة المباركة، التي ما عرف التاريخ ولن يعرف مثلها، وشباب الأمة اليوم بأمس الحاجة إلى التربية الشاملة المتوازنة، المستَمَدّة من الكتاب والسنة، وعلى هدي سلف الأمة، خاصة ونحن نرى في واقعنا المعاصر انغماس شباب الإسلام في الدنيا وملذّاتها، وغفلتهم عن الآخرة – إلا من عصم الله– ما أدى إلى ضعف مجتمعاتنا وتخلخل بنيانها؛ بسبب بعدهم عن الله عز وجل والدار الآخرة.

ولعلّي أختم هنا بكلام صاحب الظلال رحمه الله، حيث قال: "الغفلة عن الآخرة تجعل كل مقاييس الغافلين تختلُّ، وتؤرجح في أكفِّهم ميزان القِيَم؛ فلا يملكون تصوُّر الحياة وأحداثها وقيمها تصوُّرًا صحيحًا، ويظل علمهم بها ظاهرًا سطحيًّا ناقصًا؛ لأن حساب الآخرة في ضمير الإنسان يغيّر نظرته إلى كل ما يقع في هذه الأرض؛ فحياته على الأرض إن هي إلا مرحلة قصيرة من رحلته الطويلة في الكون. ومن ثمَّ لا يلتقي إنسان يؤمن بالآخرة ويحسب حسابها، مع آخر يعيش لهذه الدنيا وحدها، ولا ينتظر ما وراءها؛ لا يلتقي هذا وذاك في تقدير أمر واحد من أمور هذه الحياة، ولا قيمة واحدة من قيمها الكثيرة، فلكل منهما ميزان؛ هذا يرى ظاهرًا من الحياة الدنيا، وذاك يدرك ما وراء الظاهر من روابط وسنن ونواميس شاملة للظاهر والباطن، والغيب والشهادة، والدنيا والآخرة، والحياة والموت"[2].

---

(١) قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٣٧٣.

(٢) قطب، المرجع السابق، ج٥، ص٢٧٥٩.

فما أحرى أن يتعاهد الدعاة والمربون أفرادهم بالتربية الإيمانية، وذلك بالانشغال بالدار الآخرة، وعدم الانهماك في الدنيا؛ لكي تستعيد الأمة مجدها وتستردّ عزّها.

المطلب الثالث: وضوح الهدف

إن وجود هدف محدّد يعيش الإنسان من أجله هو سنة فطرية، ووضوح الهدف في حياة الإنسان يُسهِّل عليه بلوغه والوصول إليه؛ لأن بيان الهدف وتحديده، ينير الدرب، ويشحذ الهمة، وما دام هناك هدف واضح المعالم، يمكن قياسه مرتبطًا بنتيجة، فالطريق إليه سيكون سهلًا، وقد بيّن لنا الله عز وجل في كتابه الهدف الذي خُلِق الإنسان لأجله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات:٥٦)، وفي سورة آل عمران بيّن الله عز وجل للصحابة أن الدنيا ليست هي الهدف الحقيقي الذي خَلَقَنا لأجله، ودعاهم سبحانه وتعالى إلى عدم الوقوف عندها، وطلب منهم تجاوزها إلى ما هو خير وأشمل، وأدوم وأبقى، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٥)، ووعدهم الله بخير من هذه الدنيا، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ (سورة آل عمران: ١٤)، وفي هذا المعنى يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله: "ولكن المؤمن يعرف أن الهدف ليس هو الدنيا، وأن الهدف في مجال آخر؛ لذلك يسعى في تطبيق التكاليف الإيمانية ليصل إلى الهدف، وهو الجنة، إذن ما يفسد سلوك الناس هو جهلهم بالهدف، وحين يوجد الهدف، فالإنسان يحاول أن يعرف العمل الذي يقربه من الهدف فيفعله، فهذا هو الخير، أما الذي يبعده عن الهدف، ويفعل عكس الموصل إليه، فهذا هو الشر"[(١)]. وهذا من أهم الأسباب التي تدفع الإنسان إلى التحلي بالإرادة القوية والعزيمة الصادقة التي تدفعه إلى النشاط والعمل الجاد من أجل تحقيق هذا الهدف المراد.

---

(١) الشعراوي، مُحَمَّد متولي، **الخواطر** (مصر: مطابع أخبار اليوم، د.ط، ١٩٩٧م) ج٣، ص١٤٨٣.

وينبغي على المربّي الاستفادة من هذا المنهج الرباني، فيحرص على تحقيق هذه الغاية في العملية التربوية، ويسعى إليها في تربيته، ويحرص على ترسيخها عند المتربي، خاصة في مجال الدعوة إلى الله عز وجل، فيعرض الهدف من دعوته بطريقة واضحة، دون أي تشويش، ما يؤدي إلى إقبال الناس على دعوته، ونجاحه في تبليغها.

المطلب الرابع: ضرب المثل

من المعلوم أن القرآن الكريم أكثرَ من ضرب الأمثال، والدعوة إلى تدبرها، وفهم مغازيها التعليمية ومراميها التربوية؛ لأن المثل يهدف إلى تركيز فهم السامع ولفت انتباهه إلى النتائج والعواقب، التي تؤدي إليها السلوكيات المتبعة في المثل، "وضرب الأمثال في القرآن يُستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس"(١).

وفي سورة آل عمران نجد أن الله عز وجل ضرب مثلًا للذين ثبتوا في المعركة من المجاهدين السابقين، الذين ساروا وراء أنبيائهم في درب الجهاد في سبيل الله، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا عن الجهاد بعد الذي أصابهم منه، وما استكانوا للعدو، بل ظلوا صابرين في جهادهم، وثابتين في تبليغ عقيدتهم، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا

(١) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، ت: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م) ج١، ص٤٨٦_ ٤٨٧.

وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٦-١٤٨).

وهذا المثل جعل هذا الحدث الغائب بالنسبة لهم كالمشاهَد، حتى يسيروا على نهجهم، ويقتفوا أثرهم بالثبات عند لقاء العدو، وهذا من أهم طرق علاج الأخطاء؛ لأن لضرب المثل شأنًا ليس بالخفي في إبراز خبيّات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تُريك المتخيّل في صورة المحقّق، والمتوهَّم في معرض المتيقَّن، والغائب كأنه مشاهَد(١).

ويعتبر أسلوب ضرب الأمثال من الأساليب التربوية التي استُخدِمت بكثرة في القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ ولذلك فإننا نجد اهتمام المربين المسلمين بهذا الأسلوب؛ لأنه يساعد على تصوير المعاني، وتجسيدها في الذهن، لأنه يسهل الفهم، وتثبت المعاني في الذاكرة ويسهل استرجاعها عند الحاجة إليها، بأوجز لفظ وأحسن عبارة؛ لأنه "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحُسْن التشبيه، وجَوْدة الكناية، فهو نهاية البلاغة"(٢).

فعلى المربين أن يهتموا بهذه الطريقة، ويرشّدوها باتجاه تربية الأجيال على أساس القرآن، ووفق منهجه القويم.

---

(١) ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ) ج١، ص٧٢.

(٢) الميداني، أبو الفضل أحمد بن مُحَمَّد، **مجمع الأمثال**، ت: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار المعرفة، د.ط، د.ت) ج١، ص٦.

المبحث الثاني
العلاج على المستوى النفسي والشعوري

المطلب الأول: الترغيب والترهيب

المطلب الثاني: العتاب

المطلب الثالث: العفو والصفح

المطلب الرابع: رفع الروح المعنوية للمنهزمين

المطلب الخامس: الصبر على البلاء

المطلب السادس: الدعوة إلى التوبة

المبحث الثاني
العلاج على المستوى النفسي والشعوري

القرآن الكريم هو كتاب التربية والتوجيه الذي تربّى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وربّى عليه أمته، وأنشأها خير أمة أُخرجت للناس، "فهو يأخذ الجماعة المسلمة بالأحداث، وما تنشئه في النفوس من مشاعر وانفعالات واستجابات، ثم يأخذهم بالتعقيب على الأحداث على النحو الذي يمثّله التعقيب القرآني على غزوة أحد، وهو في التعقيب يتلمس كل جانب من جوانب النفس البشرية تأثَّر بالحادثة؛ ليصحح تأثُّره ويرسِّب فيه الحقيقة التي يريد لها أن تستقر وتستريح"(١).

ولقد تولى القرآنُ مهمة تربية الأمة الإسلامية بطرق شتى، وأساليب متنوّعة، منها: الترغيب والترهيب، وعتاب المخطئ، والعفو والصفح، ورفع الروح المعنوية للمنهزمين، والصبر على البلاء، والدعوة إلى التوبة، وهذا ما سأتحدّث عنه في هذا المبحث إن شاء الله، وذلك وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: الترغيب والترهيب

لقد اهتم القرآن الكريم بأسلوب الترغيب والترهيب في توجيه العباد؛ وذلك للوقاية من الوقوع في الأخطاء، فهو لا يعتمد على التخويف والترهيب بالعقاب والنار فقط، وإنما نراه يعتمد أيضًا أو في الوقت نفسه على الترغيب بالثواب، ودخول الجنة؛ لأن الإنسان فُطِر وجُبِل بطبعه على الرغبة في النعيم والرفاهية، والرهبة من الألم والشقاء، وسوء المصير،

(١) قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٥٣١.

فكان هذا الأسلوب دافعًا قويًّا للوقاية والردع، وكبح جماع شهوات النفس، والتذكير بالنعيم الذي سيناله جزاء قيامه بالعمل الصالح[1].

وأعظم ما رغَّب به القرآن الكريم الأعمال التي تكون سببًا لدخول الجنة والنجاة من النار، وقد وردت في ذلك آيات كثيرة، لكني سأقتصر هنا على ما جاء في سورة آل عمران، قال تعالى :﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٥) وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (سورة آل عمران: ١٥)، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٣). "يُخبر تعالى عن حال يوم القيامة وما فيه من آثار الجزاء بالعدل والفضل، ويتضمن ذلك الترغيب والترهيب الموجب للخوف والرجاء"[2]. قال تعالى:﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٦-١٠٨)، **وهكذا نجد أن المنهج القرآني يعتمد على مبدأ الثواب والعقاب؛ ليرسّخ وسيلة وقائية ومهمة في حياة المسلم، حتى ينأى بنفسه عن الوقوع في الإثم والخطأ.**

---

(١) ينظر: فرحات، هيام عبد القادر جبر، رسالة ماجستير: **المنهج القرآني في علاج أخطاء المؤمنين في العهد النبوي** (الجامعة الإسلامية، غزة، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م) ص١٦٩.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص١٤٢.

والداعية إلى الله عز وجل عليه أن يسلك في دعوته الترهيب والترغيب؛ حتى يعيش المدعوون في خوفٍ من عذاب الله وسخطه، ورغبةٍ في ما عند الله من رحمته ورضوانه، فالنفس البشرية إذا ما خافت الشيء كفَّت عنه، وإذا ما رغبت بالشيء استمرت عليه وألِفته، والداعية اللبيب هو من يُلامس بدعوته قلوب الناس ترهيبًا وترغيبًا، ويتحيّن الظروف المناسبة والملائمة لكلٍ منهما، فتارةً يدعو بالترهيب، وتارة بالترغيب، وتارة يجمع بين الترغيب والترهيب.

المطلب الثاني: العتاب

العتاب أسلوب من أساليب التربية، فيه إظهار عدم الرضا من تصرّف ما، وفيه رغبة في تصحيح الخطأ، دون جرح مشاعر المعاتَب، وقد عاتب الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم في أكثر من آية؛ "لإرشاده لما هو أولى، فرغم أن تصرّفه صحيح وصواب – في معظم الأحيان– لكن الله يريد له دائمًا الأصوب والأصح والأفضل والأكمل"[(١)].

وقد وجّه الله تعالى اللوم والعتاب للصحابة الذين فرّوا من أرض المعركة، خوفًا من القتل أو الأَسْر، ونسوا قائدهم، فذكر الله صعودهم إلى الجبل، ثم ذكر موقف النبي صلى الله عليه وسلم وهو يناديهم بالرجوع، نستفيد هذا الأسلوب من قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٣)"[(٢)].

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **عتاب الرسول ﷺ في القرآن تحليل وتوجيه** (دمشق: دار القلم، د.ط، د.ت) ص٦٦، بتصرف، وتصرفي تجلى في الجملة الاعتراضية (في معظم الأحيان)؛ لأن عبارة الدكتور الخالدي غير دقيقة.

(٢) ينظر: حاج، عبد العزيز علي، **منهج القرآن الكريم في إقالة العثرات وتصحيح الأخطاء**، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن (جمهورية السودان، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م) ص٣٢١، بتصرف.

وأودّ الإشارة هنا إلى نقطة مهمة، وهي مأخوذة من قول النبي ﷺ: « أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتَهُمْ إِلَّا الْحُدُودَ »[1]، "والمعنى: اتركوا عقوبة من لم يُعرَف بغشيان الشر، كما يترك المقيل بيع من أقاله؛ وذلك صيانة لهم وأناة، لعلهم يراجعون ما عُرِفوا به من عدم إتيان الشر، وفي التعبير بـ (العثرات) إشارة إلى أن الذي صدر عنهم، إنما هو على طريق الكبوة والعثرة، لا على جهة الوُلوع بالشر"[2].

وفي سيرة النبي ﷺ شواهد كثيرة تدل على معاتبة النبي ﷺ لأصحابه، منها عتابه لحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه عندما علم أنه أرسل إلى كفار قريش يخبرهم بنية المسلمين في التوجّه إلى مكة لفتحها فقال له: «ما حملك على ما صنعت» قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمنًا بالله ورسوله ﷺ، أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال النبي ﷺ: « صَدَقَ وَلاَ تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا »[3]. فقدر النبي ﷺ لحظة الضعف البشري التي مرت به؛ لأن له حسنات عظيمة سابقة.

وهذا الأسلوب القرآني التربوي- العتاب- لا يُستخدم إلا في مثل هذه المواقف، ولا ينبغي الإكثار منه، ولذلك نجد القرآن لم يُكثر منه، حتى يكون له أثره على القلوب.

---

(١) أخرجه **أبو داود** في السنن، كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه، ج٦، ص٤٢٨، رقم (٤٣٧٥)، وأخرجه **النسائي** في "الكبرى" كتاب الرجم، باب التجاوز عن زلة ذي الهيئة، بلفظ: «أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَتَهُمْ إِلَّا الْحُدُودَ» ج٦، ص٤٦٨، رقم (٧٢٥٤)، وصححه الألباني في **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ج١، ص٢.

(٢) الصنعاني، مُحَمَّد بن إسماعيل بن صلاح، **التنوير شرح الجامع الصغير**، ت: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم (الرياض: مكتبة دار السلام، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م) ج٣، ص٢٢.

(٣) أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرًا، ج٥، ص٧٧، رقم (٣٩٨٣).

المطلب الثالث: العفو والصفح

وردت آيات كثيرة في ذكر العفو والصفح والترغيب فيهما، وقد ظهر هذا المبدأ العظيم في غزوة أحد، فقد عفا الله عز وجل عن الرماة الذين خالفوا أمر نبيهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٢) فغفر لهم ذلك الصنيع؛ تفضلًا منه سبحانه، ولما علم من ندمهم على المخالفة، مع أن الذنب ربما كان يستحق أكثر مما نزل بهم، لولا عفو الله عنهم[١]، وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعفو عنهم، قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (سورة آل عمران، آية: ١٥٩) ، فقد "أمره الله تعالى بأن يعفو عنهم ما صدر منهم من التقصير في حقه صلى الله عليه وسلم، ويستغفر لهم في التقصير في حق الله، فيجمع بين العفو والإحسان"[٢]. ولنا أن نتخيل وقع هذا العفو على الصحابة رضي الله عنهم؛ حيث بيّن لهم ما وقعوا فيه، ثم عفا عنهم. وفي هذا تحفيز لهم إلى البداية من جديد بصفحة بيضاء.

ولإن تجلى هذا المبدأ العظيم في الحرب، فإنه في السلم آكد وأوجب، وقد وردت آيات كثيرة ترغّب فيهما، منها قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٣-١٣٤)، وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة النور: ٢٢)، والآيات في ذلك كثيرة.

---

(١) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص٤٣/ ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص١٦٧/ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص١٣٣.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص١٥٤.

وقد كان العفو والصفح من خلقه ﷺ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: « وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ »[1].

وبلغ مِن عَفوِه وصفْحِه ﷺ أنه دعا لأعدائه في غزوة أُحُد بالمغفرة بعد أن أدْمَوا وجهه الشريف ﷺ، فقال: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»[2].

فالعفو هو خُلُق الأنبياء والمرسلين في عفوهم عن أقوامهم وهم يؤذونهم ويعذبونهم، وهو خلق الكرام من الناس، وله آثار طيبة وعظيمة على العبد في الدنيا والآخرة، وإن تربية الإسلام لأبنائه على هذا المعنى العظيم يعود على الفرد أولًا بحصول محبة الله ومغفرته، وبسلامة الصدر، ويعود على المجتمع بالمحبة، والتعاون، والإخاء، فإن أوثق عرى الروابط الاجتماعية وأدعاها للتماسك والألفة مبناها على العفو والصفح؛ حيث يحيا المجتمع الإسلامي في ظلهما حياة طيبة، لا تنافر فيها ولا تباغض، ولا تشاحن فيها ولا تحاسد، كما عاشها الرعيل الأول من الصحابة في عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين، وما أحوجنا اليوم إلى التذكير بهذا الخلق الكريم سواء على صعيد الفرد أو المجتمع.

المطلب الرابع: رفع الروح المعنوية للمسلمين بعد الهزيمة

إن المتدبر لسورة آل عمران يجد فيها علاجًا شافيًا لكثير من أخطائنا، وسأقف في هذا المطلب عند نقطة مهمة، وهي رفع الروح المعنوية والثقة بالله تعالى في الخروج بالأمة من

---

(١) أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، ج٨، ص١٦٠، رقم (٦٧٨٦).

(٢) أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إذا عرَّض الذمي بسبِّ النبي صلى الله عليه وسلم ولم يُصَرِّح، ج٩، ص١٦، رقم (٦٩٢٩). وأخرجه **مسلم** في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ج٣، ص١٤١٧، رقم (١٧٩٢).

الهزيمة إذا وقعت وحلّت بها؛ لأن الشعور بالإحباط والهزيمة النفسية يقضي على أيّ أمل للإصلاح، مع أن الأمل لا ينقطع ما بقيت هناك حياة.

لقد ساق لنا الله عز وجل هذا المنهج ضمن تجربة عملية واقعية حدثت على الأرض، خاضتها الجماعة المؤمنة الأولى، فقد تجلّى هذا الدرس واضحًا يوم أحد، والذي ذاق المسلمون ألمه ومرارته؛ فقد أصيبوا في أرواحهم وأبدانهم، فعمّهم الغمّ والحزن والقرح، وقُتل سبعون من خيارهم، وفوق هذا كله كُسرت رباعية رسول ﷺ، وشُج وجهه، وأصيبت ركبتاه الشريفتان، وقُتِل عمه، فأُصيب المسلمون من جرّاء ذلك بصدمة عنيفة مؤثّرة، فعالج الله تعالى آثار هذه الهزيمة بآياتٍ ملؤها المواساة والتخفيف من المصاب؛ ليخرجهم مما هم فيه من الهوان والحزن والقرح، وليفتح لهم باب الأمل في مستقبل أيامهم، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1] (سورة آل عمران: ١٣٩- ١٤١) "يقول تعالى مشجعًا لعباده المؤمنين، ومقويًا لعزائمهم ومنهضًا لهممهم: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في قلوبكم، عندما أصابتكم المصيبة، وابتليتم بهذه البلوى، فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان، زيادة مصيبة عليكم، وعون لعدوكم عليكم، بل شجعوا قلوبكم وصبّروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم"[2].

---

(١) الوهن: ضعف، والحزن: ألم موجع للنفس من فوت مطلوب أو فقد محبوب، ينظر: الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد، **تفسير الراغب الأصفهاني**، ت: عادل بن علي الشِّدِي (الرياض: دار الوطن، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ج٣، ص٨٧٣.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص١٤٩-١٥٠

ونلاحظ في الآيات السابقة أن الله عزوجل نهاهم عن الضعف والحزن، وبشّرهم بأنهم الأعلون، من عدة جوانب، ذكرها المفسرون في كتبهم، ولعلي أذكر هنا ما قاله الرازي رحمه الله؛ حيث أتى كلامه مفصلًا في نقاط على النحو الآتي:

١. "أن حالكم أعلى من حالهم في القتل؛ لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد، أو لأن قتالكم لله وقتالهم للشيطان.

٢. أن يكون المراد وأنتم الأعلون بالحجة والتمسك بالدين والعاقبة الحميدة.

٣. أن يكون المعنى وأنتم الأعلون؛ من حيث إنكم في العاقبة تظفرون بهم، وتستولون عليهم، وهذا شديد المناسبة لما قبله؛ لأن القوم انكسرت قلوبهم بسبب ذلك الوهن، فهم كانوا محتاجين إلى ما يفيدهم قوة في القلب، وفرحًا في النفس، فبشرهم الله تعالى بذلك"[١].

وللإسلام منهج فريد في علاج انكسار النفس أمام متاعب الحياة ومصائبها، وينبع هذا التفرّد من كون الإسلام منهجًا ربّانيًّا، شرعه من سوَّى النفس الإنسانية، وأبدع أسرارها.

وما أكثر ما نُحبَط في حياتنا جراء أزمات تمر بنا أو بأمتنا، وكم نحن محتاجون كأفراد وجماعات للتعرّف على هذا المنهج الرباني للخروج من الأزمات وعلاج الانكسار النفسي وأخذ الدروس والعبَر من هذه المعركة المجيدة، (والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)؛ لنجعل من تلك الأخطاء التي حدثت دروسًا تمدّنا بالزاد المعين على مواصلة الطريق، ولتكون نبراسًا ومنهجًا يضيء طريقنا في ظل الأحداث التي نعيشها؛ لتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة حول أسباب النصر والهزيمة، ولرفع الروح الانهزامية التي حلّت بالأمة، وإعادة الثقة الغائبة إليها.

---

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٩، ص٣٧١، بتصرف يسير.

المطلب الخامس: الصبر على البلاء

لقد زخرت آيات القرآن الكريم ببيان أهمية الصبر بصورة مباشرة من خلال الثناء على الصبر، أو بصورةٍ غيرِ مباشرة من خلال ما قصَّه الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الناس من قصص الأنبياء والصالحين، وحثّ عباده على الصبر ورغّبهم فيه، وتكفّل سبحانه وتعالى بمجازاة الصابرين على صبرهم في الدارين، وفي سورة آل عمران ذكّر الذين فروا من المعركة بالصبر، ورغّبهم فيه، قال تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ** ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٦)، أي: "فهلا قاتلتم مع نبيكم صلّى الله عليه وسلم وبعد قتله وإن قتل، كما قاتلت القرون الماضية من قبلكم، إذا أصيبت أنبياؤهم؟"[(١)].

وعبّر لهم بحبه للصابرين؛ ليسهل عليهم تحمّل الشدائد، فقال تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ** ﴾ "والمعنى: أن من صبر على تحمل الشدائد في طريق الله، ولم يُظهِر الجزع والعجز والهلع فإن الله يحبه، ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن إرادة إكرامه وإعزازه وتعظيمه، والحكم له بالثواب والجنة، وذلك نهاية المطلوب"[(٢)]. وهذه المحبة تشمل كل الصابرين، سواء من صبر على قتال الأعداء، أو صبر على ما أصابه من بلاء ومِحن.

قال أبو حيان الأندلسي في تفسير هذه الآية: "والظاهر العموم لكل صابر على ما أصابه من قتل في سبيل الله، أو جرح، أو بلاء، أو أذى يناله بقول أو فعل، أو مصيبة في نفسه، أو أهله، أو ماله، أو ما يجري مجرى ذلك"[(٣)].

---

(١) السمرقندي، أبو الليث نصر بن مُحَمَّد بن أحمد، **بحر العلوم** (د.ط، د.ت) ج١، ص٢٥٥.

(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٩، ص٣٨١.

(٣) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٣، ص٣٧٣.

والآيات التي ترغّب في الصبر كثيرة جدًا، ولكني سأقتصر هنا على ما ورد في سورة آل عمران فقط، قال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (سورة آل عمران:١٢٠) وقال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٢٥)، وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٦) .

وقد "خُتِمت السورة بوصية جامعة للمؤمنين، تجدد عزيمتهم، وتبعث الهمم إلى دوام الاستعداد للعدو؛ كي لا يثبطهم ما حصل من الهزيمة، فأمرهم بالصبر الذي هو جماع الفضائل وخصال الكمال، ثم بالمصابرة، وهي الصبر في وجه الصابر، وهذا أشد الصبر ثباتًا في النفس، وأقربه إلى التزلزل؛ ذلك أن الصبر في وجه صابر آخر شديد على نفس الصابر؛ لما يلاقيه من مقاومة قرن له في الصبر، قد يساويه أو يفوقه، ثم إن هذا المصابر إن لم يثبت على صبره حتى يمل قرنه فإنه لا يجتني من صبره شيئًا؛ لأن نتيجة الصبر تكون لأطول الصابرين صبرا"[1] قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة آل عمران: ٢٠٠).

وهكذا نجد أن القرآن الكريم قد انتهج في تربية الأمة الإسلامية مبدأ تعميق الصبر في النفوس، وتعويدها على تحمل المشاق ومواجهة الصعاب، وبهذا المنهج الربّاني تسمو روح المؤمن وتعلو همته، والتربية على الصبر أمر عظيم، ولذلك صبر رسول الله ﷺ على

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٤، ص٢٠٨.

الدعوة، وأوصى أصحابه بالصبر؛ لأن الصبر من أهم الأسباب المحققة لتبليغ الدعوة، وانتشار الإسلام، فينبغي على الدعاة والمربين التحلّي بهذا الخلق الكريم، وتربية الأمة على ذلك؛ كي تسود الأمة الإسلامية، وتعلو راية الإسلام.

المطلب السادس: الدعوة إلى التوبة

خلق الله تعالى الإنسان، ولم يجعله معصومًا من الخطأ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُ ابن آدَمَ خَطَّاء، وَخَيرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُون»[1] ولأنه تعالى يعلم من عباده الانحراف وحدوث الزلل، وجّههم إلى الطريق الأقوم، في مثل هذه الأحوال، وبيّن لهم أن التوبة هي المنجاة، فأمرهم بالتوبة في آيات عديدة من كتابه الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة النور: ٣١) "والمعنى: وتوبوا إلى الله، فإنكم لا تخلون من سهو وتقصير في أداء حقوق الله تعالى، فلا تتركوا التوبة في كل حال"[2].

وضرب الله عز وجل مثلًا بالذين ثبتوا في المعركة، وقاتلوا مع نبيهم، فكانوا نموذجًا للاقتداء بهم، ولفت انتباههم إلى صفة هامة، اتصفوا بها عند لقاء العدو، وهي التوبة والاستغفار، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة

---

(١) أخرجه **الترمذي** في السنن، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ج٤، ص٦٥٩، رقم (٢٤٩٩)، ورواه **ابن ماجه** في السنن، باب ذكر التوبة، ج٢، ص١٤٢٠، رقم (٤٢٥١)، وحسنه الألباني في كتاب **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج٥، ص٤٩٩، رقم (٢٤٩٩).

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٢، ص٢٣٨.

آل عمران: ١٤٦- ١٤٨) "وفي توجيهاته للجماعة المسلمة يسبق نهيه لها عن الوهن والحزن في المعركة، توجيهها للتطهّر والاستغفار: قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٣- ١٣٥)، ومن قبل، يذكر سبب ذلة أهل الكتاب وانكسارهم الاعتداء والمعصية: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١١٢).

وكذلك نجد الحديث عن الخطيئة والتوبة يتخلل التعقيب على أحداث الغزوة، كما نجد الكلام عن التقوى وتصوير حالات المتقين يتخلل سياق السورة كلها بوفرة ملحوظة، ويربط بين جو السورة كلها – على اختلاف موضوعاتها – وجو المعركة، كما نجد الدعوة إلى ترك الربا، وإلى طاعة الله والرسول، وإلى العفو عن الناس، وكظم الغيظ والإحسان، وكلها تطهير للنفس وللحياة وللأوضاع الاجتماعية"(١).

وقد كان هذا منهج الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فقد كانوا يوجّهون قومهم ويدعونهم إلى التوبة مما صدر منهم من ذنوبٍ ومعاصٍ، والواجب على الداعية والمربّي الاهتمام بهذا الجانب، فيذكّر الناس بالتوبة والإنابة إلى الله دائمًا؛ ليُقلِع الناس عن

(١) قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٥٣١.

معاصيهم، فينالوا رضى ربهم عز وجل، ويفتح أمامه باب الأمل في السعادة الحقيقية التي تنتظر التائبين الآيبين إلى ربهم من خلال رحلة العودة إلى الله تعالى، ويلقوا عن كواهلهم ثقل المعاصي، ويستشعروا عز الطاعة.

المبحث الثالث
العلاج على صعيد الأمة والمجتمع

المطلب الأول: استيعاب المخطئ

المطلب الثاني: مراعاة الموقف وأحوال بعض المخطئين

المطلب الثالث: تأديب المخطئ إذا استلزم ذلك

المبحث الثالث
العلاج على صعيد الأمة والمجتمع

المطلب الأول: استيعاب المخطئ

سبقت الإشارة إلى أن وقوع الإنسان في الهفوات والزلات أمر طبيعي لا ينفك عنه، ومهما بلغ العبد من مقامات العبودية أو درجات التقوى فلا يسلم من وقوعه في الخطأ.

والمتأمل لمنهج القرآن في علاج الأخطاء يجد أنه منهج متدرّج ومتكامل في إصلاحه للنفس الإنسانية، فهو يأخذ بيد الفرد إلى ما فيه الخير والصلاح، ليبدأ رحلة جديدة يعود فيها صالحًا سويًّا، يُصلِح نفسه، ويَصلُح به المجتمع، فقد دعا الله عز وجل المخطئ إلى التوبة والرجوع إليه سبحانه، وقرن صفة التوبة مع الرحمة في كثير من آيات القرآن الكريم؛ ليحثّ المؤمنين على طلب المغفرة من الله تعالى بعد ظلمهم أنفسهم، وقد وعد الله المستغفرين التائبين بالمغفرة والثواب العظيم، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٥-١٣٦)، وقد تعامل القرآن مع المخطئين برحمة وعفو، وأبقاهم في المجتمع، ولم يطردهم منه، ففي غزوة أحد بعد أن تولّى المسلمون عن النبي ﷺ نزلت الآيات تبيّن أن الله عفا عنهم وغفر لهم، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٥) فقد عفا عنهم تكريمًا لمبدأ الإسلام الذي دخلوا فيه بإخلاص، ولكن نفوسهم

ضعُفت في شيء، فيُعطيهم عقوبة في هذه الدنيا، ولكنه يعفو عنهم، فهذا هو حق الإسلام[1]. وما أحسن ما كتبه سيد قطب رحمه الله معلقًا على هذه الآية، حيث قال: "وكل هؤلاء مؤمنون مسلمون؛ ولكنهم كانوا في أوائل الطريق، كانوا في دور التربية والتكوين، ولكنهم كانوا جادّين في أخذ هذا الأمر، مسلّمين أمرهم لله، مرتضين قيادته، ومستسلمين لمنهجه، ومن ثَمّ لم يطردهم الله من كنفه، بل رحمهم، وعفا عنهم؛ وأمر نبيه ﷺ أن يعفو عنهم، ويستغفر لهم، وأمره أن يشاورهم في الأمر بعد كل ما وقع منهم، وبعد كل ما وقع من جراء المشورة"[2].

وكل ما صدر من أخطاء في المجتمع الإسلامي نظر إليه القرآن نظرة واقعية، ولم يُخرِج صاحبه من الإيمان، حتى لو وقعت عليه عقوبة، فإنه يبقى في صف المسلمين، ويعيش بينهم كواحد منهم، دون أن تطارده اللعنات، أو تلاحقه النظرات[3].

ولا شك أن قصة حاطب بن أبي بلتعة ﵁ مثال صادق على قبول المخطئ واستيعابه في المجتمع، وعدم طرده خارجه[4].

ولقد تضمن المنهج القرآني العديد من المبادئ التربوية الهامة، ومن أهم تلك المبادئ، الرفق بالمخطئ والإشفاق عليه، فالإسلام لا يجيز مقابلة المخطئ بالتشنيع به والسخرية منه؛ لأن ذلك يؤدي إلى إذلاله وتحطيم شخصيته، ولا يعني الرفق بالمخطئ،

---

(١) الشعراوي، **الخواطر**، ج٣، ص١٨٣١.

(٢) قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٥٢٩.

(٣) إبراهيم، أمجد مُحَمَّد يوسف، **منهج القرآن في التعامل مع أخطاء المجتمع الإسلامي في عهد النبوة**، رسالة ماجستير في أصول الدين (فلسطين، نابلس: كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، ٢٠١١م) ص١٢١.

(٤) لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة، زعم مُحَمَّد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم لي غيره أنها سارة، مولاة لبعض بني عبد المطلب، وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا، فجعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب. ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، ص٣٩٨.

السكوت على خطئه؛ لأن في هذا إقرارًا للخطأ، وتشجيعًا عليه؛ فالرفق والإشفاق لا ينافي تنبيه المخطئ على خطئه، بل زجره عنه بالرفق المناسب لظروف الخطأ بالتي هي أحسن، وأحق الأمور بالرفق التعليم، وعلى المربين سواء كانوا آباء أو معلمين أن يستوعبوا المخطئ، ويأخذوا بيده حتى يُقلع عنه، وقد كان النبي ﷺ أبعد المعلمين عن الشدادة والغلظة، وهذا ما نوّه به القرآن الكريم في سورة آل عمران، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٩). هذه الآية يمكن أن نجعلها نبراسًا لكل قائد، وكل مسؤول، وكل مربي، فقد كان النبي ﷺ لينًا مع أصحابه و"كان لينه في ذلك كله لينًا لا تفريط معه لشيء من مصالحهم، ولا مجاراة لهم في التساهل في أمر الدين"[(١)]فقد كان يستوعب المخطئ تارة بالتلميح دون التصريح، وتارة بالإيحاء بالغضب، وتارة بالإقناع بالخطأ، وكل ذلك حتى يستوعبه ولا يطرده خارج الصف، وكون القائد يتميز باللين فهذا لا يمنعه من الحزم، وهذه لفتة مهمة للقائد، لا يرضى بالخطأ ولكن يعامل المخطئ معاملة لينة؛ حتى يعود.

واستيعاب المخطئ في المجتمع المسلم يقلل من نطاق المفسدة، ويؤهل المخطئ لأن يعود إلى المجتمع أكثر فعالية، مستشعرًا أنه واحد من أفراده، ولا يشعر بالاغتراب النفسي أو النفور الاجتماعي.

ثم إن عدم استيعابنا للمذنب قد يكون عامل تشجيع للتمادي في ذنبه، وعدم عودته، إذا علم أن المجتمع لن يستوعبه، وقد نشاركه بهذا في وزره وذنبه.

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٤، ص١٤٤.

وإذا كان الله تعالى–وهو الذي من أجله قاطعنا المذنب– أفرحُ بتوبة عبده من أحدنا سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة[1]، ألا يدل ذلك على ضرورة استيعابه وترك هجره؟

وهذا المنهج القرآني هو المطلوب من المربّين والمؤسسات الاجتماعية والتعليمية، أن يستوعبوا من تحتهم؛ فاستيعاب الفرد من جديد بطرق تربوية، يتلاءم مع مقصود الإسلام في بناء الأمة على كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة.

المطلب الثاني: مراعاة الموقف وأحوال بعض المخطئين

إن الناس طوائف شتى، يختلفون في درجات إيمانهم وصلاحهم، ومن الخطأ أن نتعامل مع الجميع بنفس الطريقة، مهملين بذلك أحوالهم، ولا بد من الحكمة في التعامل معهم بحسب حالهم، والمنهج القرآني في التربية والتعليم هو منهج التدرّج؛ لأن ما أتى جملة ربما ذهب جملة، وما جاء إلى الناس شيئًا فشيئًا، كان أدعى لثباته ودوامه واستقراره، وهذا التدرّج بالنفس الإنسانية حتى ترتقي إلى أعلى الدرجات.

وإذا نظرنا إلى كتاب الله عز وجل، فإننا نجد هذا التعامل الواقعي في أعظم صورة عرفتها البشرية؛ دفعًا للنفوس للمسارعة في تصحيح الخطأ عن قناعة وحب، وتلطّفًا بهم حتى لا ينفروا من هذا الدين.

وقد تبيّن هذا في أكثر من موقف، **منها تعامُل القرآن الكريم مع من تولّى من المسلمين في غزوة أحد، وتعامُله مع من تخلف عن غزوة تبوك**، ففي حين نجد حديث القرآن في التعقيب على ما جرى في معركة أحد مليئًا بالعفو والمغفرة، والتماس الأعذار، نجده في الحديث عن أحداث معركة تبوك يُظهِر خطورة التخلف عن المعركة، وبشاعة

(١) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم، سقط على بعيره، وقد أضله في أرض فلاة» أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التوبة، ج٨، ص٦٨، رقم (٦٣٠٩).

التخلّي عن رسول الله ﷺ، والرغبة عن الجهاد طمعًا في الراحة، ورأينا كيف كانت معاملة النبي ﷺ لهم شديدة، ولا شك أن ذلك كان بتوجيه من الله تعالى، في حين أمره الله عز وجل في غزوة أحد بالعفو والاستغفار لهم[1] .

"والذي يراجع غزوة تبوك في سورة براءة؛ ومؤاخذة الله ورسوله للنفر القلائل المتخلفين تلك المؤاخذة العسيرة، يجد الفرق واضحًا في المعاملة؛ ويجد الفرق واضحًا في مراحل التربية الإلهية العجيبة"[2].

وقد سار رسول الله ﷺ على هذا المنهج في تربية أصحابه، «فعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»[3]

فعلى الرغم من أن ذاك الرجل كان يؤتى به كثيرًا مستحقًا لحدّ كبيرة من الكبائر، ويعود إليها مرة بعد أخرى، إلا أن رسول الله ﷺ نهى عن لعنه؛ شفقةً به ورحمة؛ ولئلا يكون الناس عونًا للشيطان عليه.

وحين تأتي المعصية من رجل آخر يكون التعامل معه مختلفًا، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، يقول: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا

---

(١) ينظر: أمجد، **منهج القرآن في التعامل مع أخطاء المجتمع الإسلامي في عهد النبوة**، ص١١٠.

(٢) قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٥٣٠، بتصرف يسير.

(٣) أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وأنه ليس خارج من الملة، ج٨، ص١٥٨، رقم (٦٧٨٠) .

قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ»[1].

فهذا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ وابن حِبّه، يأتي بدمٍ خطأ، ومع ذلك يلومه رسول الله ﷺ لومًا شديدًا، حتى تمنى معه أسامة أن لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم، مع أنه كان متأوّلًا في القتل.

والذي يظهر بعد التأمل في الموقفين أن النبي ﷺ ربما تعامل مع الشخص الذي أمامه حسب حاله، وعلو قدمه في الإسلام، فأسامة بن زيد ﷺ له مكانة في الطاعة والثبات، تجعله يتقبل مالا يتقبله غيره من حديثي الإسلام، الذين تعامل معهم النبي ﷺ معاملة المحِب المشفِق، فأنكر عليهم المنكر، بحسب حالهم، أي فعل ذلك بحكمة ومراعاة للظروف والأحوال.

ومن هنا، فإنه ينبغي لكل معلمٍ ومربٍّ أن يكون حاذِقا مُلِمًا بهذا الأمر، مراعيًا في حديثه الأحوال المختلفة لمن أمامه، يخاطب الناس حسب مستوياتهم المختلفة، بما يناسب كل واحد منهم؛ لأن الناس منهم المتعلم والجاهل، ومنهم الشديد والليّن، ومنهم الكبير والصغير، فهذا المنهج الرباني ليس فقط للتعامل مع الجماعة المسلمة الأولى، بل هو لكل الدعاة والمربين في كيفية الأخذ بيد الناس من أجل الهدف المنشود.

المطلب الثالث: تأديب المخطئ إذا استلزم ذلك

أسلوب الثواب والعقاب من المبادئ التربوية الأساسية التي وضع لها الإسلام اعتبارًا كبيرًا، ولولا هذا المبدأ لتساوى المحسن والمسيء، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا

(١) أخرجه **البخاري** في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة، ج٥، ص١٤٤، رقم (٤٢٦٩).

﴿ نَتَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة غافر: ٥٨)، وإثابة المحسن على إحسانه وعقاب المسيء على إساءته تتجلى في قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ (سورة الرحمن: ٦٠)، وقوله سبحانه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ (سورة الشورى:٤٠)، وقد ورد مبدأ الثواب والعقاب تحت عنوان آخر هو (الترغيب والترهيب)، اعتمادًا على فطرة الإنسان ورغبته في الثواب والنعيم، ورهبته من العقاب والشقاء وسوء العاقبة، ففي الترغيب وعد بالإثابة وتحبيب في الطاعة، وفي الترهيب زجر عن الزلل والمعصية، وتخويف من الخطايا والآثام، كما سبقت الإشارة إلى ذلك قبل قليل.

والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تحمل في ثناياها الثواب، وأخرى تحمل العقاب؛ لتكون النفوس بين هاتين الوسيلتين، فإن هي عصت ربها سبحانه وتعالى قرّعتها آيات العذاب والعقاب، وإن أقبلت على خالقها ونشطت في طاعته، سمعت آيات الوعد والثواب فزادت نشاطًا ورغبةً في ذلك.

وفي غزوة أحد بيَّن الله تعالى أن الهزيمة ما لحقتهم إلا بمعصيتهم له عز وجل، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة آل عمران: ١٦٥) يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ "يعني: قلتم لما أصابتكم مصيبتكم بأحد ﴿ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾، من أيِّ وجه هذا؟ ومن أين أصابنا هذا الذي أصابنا، ونحن مسلمون وهم مشركون، وفينا نبي الله صلى الله عليه وسلم يأتيه الوحي من السماء، وعدوُّنا أهل كفر بالله وشرك؟ "قل" يا مُحَمَّد للمؤمنين بك من أصحابك: ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ يقول: قل لهم: أصابكم هذا الذي أصابكم من عند أنفسكم، بخلافكم أمري وترككم طاعتي، لا من عند غيركم، ولا

من قِبَل أحد سواكم"[١]، "فعوقبوا بالهزيمة لمخالفتهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم"[٢]، والغرض من هذه العقوبة مراجعة أنفسهم، ولَوْمها على ذلك، ولتكون لهم درسًا عمليًّا من الوقوع في المعصية، وكأن الله عز وجل يقول لهم: "عودوا على أنفسكم باللوم، واحذروا من الأسباب المردية"[٣]، "فإن الوعد كان مشروطًا بالثبات والمطاوعة"[٤].

ومن هذه الآية الكريمة يجب علينا أن نتعلم درسًا، فعند وقوعنا في المصيبة فلنحاسب أنفسنا؛ حتى نراجع الخلل، فإذا كان هذا الجيش الذي فيه أشرف الخلق، عندما وقعوا في المعصية أصابتهم مصيبة -كما سماها الله عزوجل- وهذا يدعونا إلى مراجعة أنفسنا دائمًا، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ .

يقول المراغي رحمه الله: "ولا شك أن العقوبات آثار لازمة للأعمال، والله تعالى إنما وعدكم النصر بشرط ترك المعصية، فهو القادر على نصركم لو ثبتُّم وصبرتم، وهو القادر على التخلي عنكم إن خالفتم وعصيتم، وهو سبحانه قد ربط الأسباب بالمسبّبَات، ولا يشذّ عن ذلك مؤمن ولا كافر"[٥].

وتأسيسًا على ما تقدّم أقول: إن تشريع العقوبات في الإسلام هي من أجل سعادة الإنسان، وهي واسعة النطاق، تتعلق بمصالح الإنسان ومصالح مجتمعه، وقد "شرعت العقوبات رحمة من الله تعالى بعباده، فهي صادرة عن رحمة الخلق وإرادة الإحسان

---

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج٧، ص٣٧١.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، **الدر المنثور** (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت) ج٢، ص٣٦٨ / ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج٢، ص٤٧. بتصرف

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص١٥٦.

(٤) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص٤٧.

(٥) المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي** (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م) ج٤، ص١٢٦. بتصرف يسير.

إليهم؛ ولهذا ينبغي لمن يعاقِب الناس على ذنوبهم، أن يقصد بذلك الإحسان إليهم، والرحمة بهم، كما يقصد الوالد تأديب ولده، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض"[1]، فالناصح أشبه ما يكون بالطبيب يختار من العلاج ما يناسب حال المريض، وقد لا يزول المرض إلا بشيء من الشدة والغلظة، وقد تكون هذه الشدة بالعتاب واللوم الشديد، أو الهجر إذا اقتضى الأمر ذلك، أو الإعراض عن المخطئ مع إظهار الغضب، أو الهزيمة كما حصل في أحد، وغير ذلك من الأساليب، التي قد تكون سببًا في مراجعة المخطئ لخطئه.

إن للعقاب على الفرد والمجتمع آثارًا واضحة وثمارًا طيبة، منها:

١. العلم بعظمةِ خالقهم تبارك وتعالى وقوّتِه وسلطانِه، وذلك عن طريق الشعور برقابة الله تعالى عليهم، وأنه مطّلع على جميع حركاتهم وسكناتهم، فيبعثهم ذلك على الخشية منه والاستقامة على أمره تعالى بتنفيذ الأوامر واجتناب النواهي، وهكذا يبقى المؤمن بين الخوف من عقاب الله، والرجاء لعفوه، يذكر بأن الله سريع الحساب وأنه شديد العقاب، فيغلب عليه الخوف، ويذكر أنه غفور رحيم، فيغلب عليه الرجاء.

٢. اللجوء إلى الله تعالى بالتوبة والإنابة؛ لأنه جرت سنة الله تعالى في العصاة، أنه يعاقبهم على ذنوبهم في الدنيا قبل الآخرة، وذلك تنبيهًا للغافلين، وتذكرة للناسين.

٣. كما يترتب على العقوبة الإلهية: خضوع المسلم لأحكام الشريعة، خضوعًا اختياريًّا في السر والعلن، خوفًا من عقاب الله، وحتى لو استطاع الإفلات من عقاب الدنيا؛ لأن عقاب الآخرة ينتظره ولا يستطيع الإفلات منه، فتكون العقوبة الإلهية هنا علاجًا للأمراض، وسببًا لتزكية النفوس، كما يكون لها أثر كبير في حث الناس على العمل الصالح، والمبادرة لفعل الخيرات وترك المنكرات، والله تعالى أعلم.

---

(١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **الفتاوى الكبرى لابن تيمية** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) ج٥، ص٥٢١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واهتدى بهداه إلى يوم الدين، وبعد:

لقد قمت في هذه الدراسة بالحديث عن منهج القرآن الكريم في علاج أخطاء الجماعة المؤمنة في ضوء سورة آل عمران، وكانت أبرز النتائج والتوصيات التي خلصت إليها كالآتي:

أولًا: النتائج

١. المنهج القرآني هو الذي يُصلِح النفس البشرية؛ لأنه منزل من عند اللطيف الخبير.

٢. ذَكَرَ الله عز وجل بعض الأخطاء التي وقعت فيها الجماعة المؤمنة في سورة آل عمران، ومن هذه الأخطاء: الاختلاف والتنازع، ومخالفة أمر النبي ﷺ، وإرادة الدنيا، والتعلق بشخص النبي ﷺ، والفرار من المعركة.

٣. اهتمَّ القرآن الكريم بمعالجة الأخطاء وإقالة العثرات؛ ليصلح الفرد والمجتمع.

٤. تعامل القرآن مع هذه الأخطاء بصورة واقعية، فأقرّ وجودها وعمل على علاجها، وهذّب النفس البشرية من تبعاتها وسيطرتها.

٥. اتبع القرآن منهجًا واضحًا في التعامل مع هذه الأخطاء، فوضّح الخطأ، وصحّح التصورات، وعمل على نبذ الفرقة والتنازع بين المؤمنين، وحثّ على الاجتماع والألفة، والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٦. استخدم القرآن أساليب متنوعة في معالجة الأخطاء، منها العتاب، وضرب الأمثال، والترغيب والترهيب، والدعوة إلى التوبة، والعفو والصفح، وغير ذلك، وهذه الأساليب يمكن توظيفها في علاج الأخطاء في كل زمان ومكان، كما يمكن اغتنام آثارها في المناهج التربوية والدعوية.

ثانيًا: التوصيات:

في ضوء النتائج التي توصلت لها في هذه الدراسة فإنني أوصي بالآتي:

١. الاهتمام بالمعالجة الجذرية للأخطاء، والتربية على المبادئ القرآنية، ابتداءً من البيت، ثم في كافة المؤسسات، وتربية الناشئة عليها وتفعيلها عمليًّا.

٢. دراسة أخطاء الجماعة المؤمنة الواردة في بقية السور، والاستفادة من منهج القرآن في علاجها.

٣. إقامة دورات تدريبية للدعاة والمربين حول منهج القرآن في علاج الأخطاء؛ للاستفادة منها على الواقع.

٤. عمل ملخصات من الدراسات والبحوث التي تناولت منهج القرآن في علاج الأخطاء، وتزويد المدارس وأرباب الأسر بها.

٥. التنسيق والتكامل بين كلية الشريعة وكلية التربية في طرح بعض الدراسات؛ ليستفيد كل منهما من الآخر في معالجة القضايا المجتمعية.

المراجع

القرآن الكريم.

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد الجزري، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ت: علي مُحَمَّد معوض- عادل أحمد عبد الموجود (دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

٢. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ت: علي عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ).

٣. أمجد مُحَمَّد يوسف إبراهيم، **منهج القرآن في التعامل مع أخطاء المجتمع الإسلامي في عهد النبوة**، رسالة ماجستير في أصول الدين (فلسطين، نابلس: كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، ٢٠١١م)

٤. باشميل، مُحَمَّد أحمد، **موسوعة الغزوات الكبرى –غزوة أحد–** (القاهرة: المكتبة السلفية، ط٥، ١٤٠٦هـ).

٥. البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه "صحيح البخاري"**، ت: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر (بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ).

٦. البغوي، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ بن مُحَمَّد بن الفراء، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ت: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ).

٧. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت).

٨. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ت: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ) .

٩. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ).

١٠.الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى، **سنن الترمذي** (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

١١.ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **الفتاوى الكبرى لابن تيمية** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).

١٢.ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **منهاج السنة النبوية**، ت: مُحَمَّد رشاد سالم (السعودية: جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

١٣.ابن الجرجاني، علي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف، **كتاب التعريفات** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

١٤.الجزري، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ت: طاهر أحمد الزاوى – محمود مُحَمَّد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، د.ط، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

١٥.ابن جزي، أبو القاسم، مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ت: الدكتور عبد الله الخالدي (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤١٦هـ).

١٦.ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد، **زاد المسير في علم التفسير**، ت: عبدالرزاق المهدي (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ).

١٧.حاج، عبد العزيز علي، **منهج القرآن الكريم في إقالة العثرات وتصحيح الأخطاء**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في التفسير وعلوم القرآن (جمهورية السودان، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

١٨.الحاكم، مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه، **المستدرك على الصحيحين**، ت: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م) ج٢، ص٦٤٩، رقم (٤١٥٧).

١٩.ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ت: أحمد مُحَمَّد شاكر (القاهرة: دار الحديث، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

٢٠.الحميري، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي، **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ).

٢١.أبو حيان، مُحَمَّدبن يوسف الأندلسي، **البحر المحيط**، ت: صدقي مُحَمَّد جميل (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠هـ).

٢٢.الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **عتاب الرسول ﷺ في القرآن تحليل وتوجيه** (دمشق: دار القلم، د.ط، د.ت).

٢٣.أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير، **سنن أبي داود**، ت: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي (دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م).

٢٤.دراز، مُحَمَّد بن عبد الله، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم** (دار القلم للنشر والتوزيع، د.ط، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٢٥.الرازي، فخر الدين مُحَمَّد بن عمر التميمي، **مفاتيح الغيب** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ).

٢٦.الرازي، مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبدالقادر، **مختار الصحاح**، ت: يوسف الشيخ مُحَمَّد (بيروت: المكتبة العصرية، ط٥، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).
٢٧.الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد، **المفردات في غريب القرآن**، ت: صفوان عدنان الداودي (دمشق: الدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ).
٢٨.الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد، **تفسير الراغب الأصفهاني**، ت: عادل بن علي الشِّدِي (الرياض: دار الوطن، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).
٢٩.رضا، مُحَمَّد رشيد بن علي، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)** (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٠م).
٣٠.الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** (دمشق، دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٤١٨هـ).
٣١.الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، ت: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م).
٣٢.الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ).
٣٣.زيدان، عبدالكريم بهيج العاني، **المستفاد من قصص القرآن** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).
٣٤.ابن السري، أبو السَّرِي هَنَّاد بن السَّرِي بن مصعب بن أبي بكر، **الزهد**، ت: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي (الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ).
٣٥.ابن سعد، أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعد بن منيع الهاشمي، **الطبقات الكبرى**، ت: مُحَمَّد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

٣٦.السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
٣٧.أبو السعود، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

٣٨.السمرقندي، أبو الليث نصر بن مُحَمَّد بن أحمد، **بحر العلوم** (د.ط، د.ت).

٣٩.السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)
٤٠.الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، **الاعتصام** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).
٤١.الشعراوي، مُحَمَّد متولي، **الخواطر** (مصر: مطابع أخبار اليوم، د.ط، ١٩٩٧م).

٤٢.الشوكاني، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** (دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤١٤هـ).

٤٣.الصنعاني، مُحَمَّد بن إسماعيل بن صلاح بن مُحَمَّد الحسني، **التنوير شرح الجامع الصغير**، ت: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم (الرياض: مكتبة دار السلام، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

٤٤.الطبري، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد أبو جعفر، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ت: أحمد مُحَمَّد شاكر (مؤسسة الرسالة، ط١،١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٤٥.ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي، **التحرير والتنوير** (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤هـ).

٤٦.ابن عطية، أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ).

٤٧.الغزالي، مُحَمَّد أحمد السقا، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن** (مصر: دار الشروق، د.ط، د.ت).

٤٨.فرحات، هيام عبد القادر جبر، رسالة ماجستير: **المنهج القرآني في علاج أخطاء المؤمنين في العهد النبوي** (الجامعة الإسلامية، غزة، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

٤٩.الفيروز آبادي، مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥ م).

٥٠.القاسمي، مُحَمَّد جمال الدين بن مُحَمَّد سعيد، **محاسن التأويل**، ت: مُحَمَّد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ).

٥١.القرطبي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

٥٢.قطب، سيد إبراهيم حسين شاذلي، **في ظلال القرآن** (القاهرة: دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ).

٥٣.قطب، مُحَمَّد إبراهيم حسين شاذلي، **واقعنا المعاصر** (القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

٥٤.ابن القيم، مُحَمَّد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، **زاد المعاد في هدي خير العباد** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢٧، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

٥٥.ابن القيم، مُحَمَّد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ت: مُحَمَّد حامد الفقي (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

٥٦.الكاندهلوي، مُحَمَّد يوسف بن مُحَمَّد إلياس، **حياة الصحابة**، ت: بشار عوّاد معروف (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).

٥٧.ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، ت: سامي بن مُحَمَّد سلامة (السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).

٥٨.ابن ماجة، أبو عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، ت: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت).

٥٩.المباركفوري، صفي الرحمن، **الرحيق المختوم** (بيروت: دار الهلال، ط١، د.ت).

٦٠.مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط** (مصر: دار الدعوة، د.ط، د.ت).

٦١.المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي** (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م).

٦٢.المزيني، خالد بن سليمان، **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية** (الدمام: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

٦٣.مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** ﷺ، ت: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

٦٤.ابن منجويه، أحمد بن علي بن مُحَمَّد، **رجال صحيح مسلم**، ت: عبدالله الليثي (بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٤٠٧هـ)

٦٥.ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم بن على، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ).

٦٦.المهدوي، أبو العباس أحمد بن عمار، **التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل**، ت: دار الكمال المتحدة (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م).

٦٧.المهدي، القاضي حسين بن مُحَمَّد، **الشورى في الشريعة الإسلامية** (وزارة الثقافة، مكتبة المحامي، د.ط، ٢٠٠٦م).

٦٨.نخبة من أساتذة التفسير، **التفسير الميسر** (السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

٦٩.نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، بإشراف أ.د مصطفى مسلم (الإمارات، جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

٧٠.النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، **السنن الكبرى للنسائي**، ت: حسن عبد المنعم شلبي (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

٧١.النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الميداني، **مجمع الأمثال**، ت: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار المعرفة، د.ط، د.ت).

٧٢.ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، **السيرة النبوية**، ت: مصطفى السقا (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط٢، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م).

٧٣. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت: صفوان عدنان داوودي (دمشق، بيروت: دار القلم ، الدار الشامية، ط١، ١٤١٥هـ).